التحليل التركيبي للجملة الإنشائية الطلبيَّة في الأحاديث الأربعين النووية من منظور تداولي

إعداد

د/ حسن قطب محمد سالم العدوي

مُدرِّس النَّحو والصَّرف

كلية الآداب . جامعة السويس

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.71713.1072

التحليل التركيبي للجملة الإنشائية الطلبيَّة في الأحاديث الأربعين النووية من منظور تداولي

مُلخَّص البحث :

يهدف هذا البحث إلى بيان التحليل التركيبي لجملة الإنشاء الطلبيَّة من منظور تداولي، ومعرفة الأغراض البلاغيَّة التي خرج إليها الحديث النَّبوي من خلال توظيف الجُمل الإنشائيَّة الطلبيَّة المختلفة في صورتها الحقيقية والمجازيَّة، أو على حدّ تعبير " التَّداوليّين ": معرفة فيمَ تكمنُ مجموع الأفعال المُنجزة بالقول مباشرة أو غير مباشرة في تحقيق قُوى إنجازيَّة حرفيَّة أو مُستلزمة مقاميًّا، ولَّدتها عَلاقة المُتكلِّم الرسول – صلى الله عليه وسلَّم – بمخاطبه مقالا ومقامًا، وتأكيد احتواء الحديث النَّبويّ مقاصد ذات آليَّات تداوليَّة، ومن ثَمَّ تكون التَّداوليَّة مدخلاً مُناسبًا من مداخل فَهم الحديث النَّبويّ، وأداة من أدوات قراءته.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على " المنهج الوصفي " القائم على آليَّات الوصف والتحليل في تجسيد آليَّات التَّداوليَّة؛ لأنَّه الأنسب لهذا النوع من البحوث القائمة على وصف الظواهر اللُّغويَّة، ورصد خصائص التَّداوليَّة، وليس من منهج البحث الوقوف تطبيقيًّا على كُلِّ موضع للجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة في الأحاديث؛ وإلاَّ لجمع بين دفَّتيه مئات الصفحات، وإنَّما كانت السبيل المُثلى في نظري أنْ يقوم في دراسة الجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة على دراسة شاهد تطبيقي واحد لكُلِّ نوع من أنواع الطلب، وذلك بما يُحقّق وضوح الحُكم والتحليل النَّحويّ، وتبيان المعنى الدلالي الحرفيّ، والمعنى التَّداوليّ المقامي.

الكلمات المفتاحيَّة:

" التركيب ـ الجملة ـ الإنشائيَّة ـ الأحاديث ـ النَّوويّ ـ التَّداوليَّة ".

The Structural Analysis of the Order Building Sentence in the Forty Hadiths by Al-Nawawi

from a trading a pragma

By

Dr. Hassan Kotb Mohammad Salem Al-Adawi

Grammar and Morphology Lecturer

Faculty of Arts - Suez University

Abstract

This research aims to demonstrate the compositional analysis of the Constructivist Sentence from a deliberative perspective، and to know the rhetorical purposes to which the Prophetic hadith came out by employing the different structural sentences in their true and metaphorical form. Or indirectly in the realization of literal or imperative accomplishing powers، generated by the relationship of the Messenger speaker - may God bless him and grant him peace - to address him in an essay and a place، and the emphasis on the prophetic hadith contains intentions with deliberative mechanisms. Reading tools.

The nature of the research necessitated relying on the "descriptive approach" based on the mechanisms of description and analysis in embodying the deliberative mechanisms، in which the mechanisms of description and analysis were used. Because it is best suited for this type of research based on describing linguistic phenomena and monitoring the deliberative characteristics، and it is not the research method to stand in practice on every place of the constructive sentence in the hadiths. Otherwise، he would collect hundreds of pages between his covers، but the best way in my opinion was for him to study the constructive order sentence on studying one applied witness for each type of request، in order to achieve clarity of judgment and grammatical analysis، and to clarify the literal semantic meaning، and the debating deliberative meaning.

key words: Composition-sentence-construction-hadiths- al-Nawawi –deliberative.

مُقدِّمة:

الحمدُ لله الذي طابقتْ أسماؤه صفاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله تعالى عليه وسلَّمَ –، وعلى آله الطَّيِّبين الطاهرين، وصحبه الغُر الميامين، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فيُعدَّ الحديث النَّبويّ الشريف مصدرًا معتمدًا من مصادر اللُّغة والنَّحو، لِذلك وجَّه بعض الباحثين في العصر الحديث جُهودهم نحو لُغة الحديث، وقامت دراسات وبحوث في هذا الموضوع، ولا تزال لُغة الحديث الثَّريَّة وأساليبه المتنوِّعة بحاجة ماسة للدراسة، وقد وقع الاختيار على النَّصِّ النَّبويّ في كتاب (الأربعين النَّوويَّة)؛ وذلك بسبب كثرة أساليب الإنشاء الطلبيّ في الأحاديث الأربعين النَّوويَّة وتنوِّعها، وبوصفها تُمثِّل مجالاً ثريًّا يتناسب وطبيعة الدراسة التَّداوليَّة، والذي يعتمد على استقراء هذه الأساليب ووصفها وتحليلها، ثُمَّ إبراز مدى تأثيرها ودورها في عملية التواصل؛ ولأنَّ آليَّات التَّداوليَّة تهتمُ بالاستخدام اللُّغوي وأثره في المُتلقِّي والتفاعل بين المُتخاطِبين، لتحقيق الفائدة التي هي قصديَّة المُتكلِّم – صلى الله عليه وسلَّم – من كلامه.

التَّداوليَّة لا تصفُ التَّراكيب اللُّغويَّة وتُفسِّرها من حيثُ ظواهرها وأشكالها الإعرابيَّة، والدلالة الحرفيَّة للتَّراكيب البعيدة عن سياق إنتاج الكلام، بلْ التَّداوليَّة تَهتمُّ بوظيفة التَّراكيب اللُّغويَّة (استعمال اللُّغة)، فهي تدرس التَّراكيب اللُّغويَّة في مجال الاستعمال والظروف الخارجيَّة غير اللُّغويَّة المُصاحبة للكلام، وقصديَّة المُتكلِّم وتأثيره في المُخاطَب، فالمُتلقِّي أو السَّامع أو المُخاطَب هو مع المُتكلِّم طرفا التَّواصل الكلاميّ، ولا بُدَّ أنْ يكون المُخاطَب على بيِّنة من قصديَّة وغَرَض المُتكلِّم، أي أنَّ التَّداوليَّة تتناولُ عَلاقة التَّركيب اللُّغوي بظروف استعماله ومُناسبته، فجاءتْ التَّداوليَّة لِتجمع بين التَّركيب والدلالة والسِّياق، واقتصرتُ في دراستي التَّطبيقيَّة لجملة الإنشاء الطلبيَّة على : " الاستفهام، والأمر، والنَّهْي، والنِّداء " فقط؛ لأنَّه لا توجد أمثلة للإنشاء الطلبي في الأحاديث الأربعين النَّوويَّة غيرهم، واقتصرتُ –أيضًا– على بعض مجالات التَّداوليَّة التي تخدم البحث، ومنها: السِّياق (اللُّغوي والخارجيّ "غير اللُّغوي")، والإشاريَّات، والافتراض المُسبَق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلاميَّة.

ويهدف هذا البحث إلى بيان التحليل التركيبي لجملة الإنشاء الطلبيَّة من منظور تداولي، ومعرفة الأغراض البلاغيَّة التي خرج إليها الحديث النَّبوي من خلال توظيف الجُمل الإنشائيَّة الطلبيَّة المختلفة في صورتها الحقيقية والمجازيَّة، أو على حدّ تعبير التَّداوليّين معرفة فيمَ تكمنُ مجموع الأفعال المُنجزة بالقول

مباشرة أو غير مباشرة في تحقيق قُوى إنجازيَّة حرفيَّة أو مُستلزمة مقاميًّا، ولَّدتها عَلاقة المُتكلِّم الرسول – صلى الله عليه وسلَّم – بمخاطبه مقالا ومقامًا، وتأكيد احتواء الحديث النَّبويّ مقاصد ذات آليَّات تداوليَّة، ومن ثَمَّ تكون التَّداوليَّة مدخلاً مُناسبًا من مداخل فَهم الحديث النَّبويّ، وأداة من أدوات قراءته.

ونتيجة لِما سبق تمَّ اختياري لموضوع هذا البحث الموسوم بـ **(التحليل التركيبي للجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة في الأحاديث الأربعين النَّوويَّة من منظور تداولي)**.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على " المنهج الوصفي " القائم على آليَّات الوصف والتحليل في تجسيد آليَّات التَّداوليَّة؛ لأنَّه الأنسب لهذا النوع من البحوث القائمة على وصف الظواهر اللُّغويَّة، ورصد خصائص التَّداوليَّة، وليس من منهج البحث الوقوف تطبيقيًّا على كُلِّ موضع للجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة في الأحاديث؛ وإلاَّ لجمع بين دفَّتيه مئات الصفحات، وإنَّما كانت السبيل المُثلى في نظري أنْ يقوم في دراسة الجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة على دراسة شاهد تطبيقي واحد لكُلِّ نوع من أنواع الطلب، وذلك بما يُحقّق وضوح الحُكم والتحليل النَّحويّ، وتبيان المعنى الدلالي الحرفيّ، والمعنى التَّداوليّ المقامي.

وقد عرضتُ بحثي في أربعة مباحثَ، مسبوق بتمهيد، مشفوع بخاتمة وثبتٍ للمصادر والمراجع، أمَّا التمهيد، فتناولت فيه ثلاثة أمور، الأوَّل: تعريف الجملة الإنشائيَّة الطلبيَّة، والثاني: الأحاديث الأربعين النَّوويَّة، والثالث: التَّداوليَّة وآليَّاتها، وأمَّا المبحث الأوَّل فيدور حول التحليل التركيبي للجملة الاستفهاميَّة في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي، ويدور المبحث الثاني حول التحليل التركيبي للجملة الأمريَّة في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي، ويدور المبحث الثالث حول التحليل التركيبي لجملة النَّهْي في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي، ويدور المبحث الرابع حول التحليل التركيبي للجملة النِّدائيَّة في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي، وأمَّا الخاتمة فتضمَّنت ما توصَّل البحث إليه من نتائج .

التمهيد: فيه التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، وهي:

١- تعريف الجملة الإنشائية الطلبيَّة ٢- الأحاديث الأربعين النووية٣- التداولية وآليَّاتها.

١- تعريف الجملة الإنشائية الطلبيَّة:

إنَّ كتب النحو العربي وإنْ كانت قد خلت من وجود أبواب مُستقلة بدراسة أساليب الإنشاء الطلبي، وذلك لخضوعها للمنهج المنطقي، واستنادها إلى فكرة العامل، التي كانت محور الدراسة فيها، إلاَّ أنَّها قد تضمنَّت – ولاسيما كتب النُّحاة الأوائل – ملاحظات كثيرة، لكنها متفرقةٌ تتعلَّق بطبيعة هذه الأساليب وأدواتها، والمعنى الدقيق الذي تُستعمل في كلٌ أداة[١].

وعلى الرغم ممَّا حظيت به " الجملة" مثلا في الدرس النَّحوي واللُّغوي العربي القديم من بحوث ودراسات إلاَّ أنَّني لم أجد بابًا ضمن ذلك الموروث اصطلح عليه **بـ " الجملة الإنشائية أو الطلبية "**؛ لميل الكثير منهم إلى أنَّ الأهمَّ في الدراسات النَّحوية هو دراسة " التركيب "، مثل ما دعا إليه السكاكي (ت ٦٢٦هـ) حين قال: " اعلم أنَّ علم النَّحو هو أنْ تنْحُو معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقًا..." [٢]؛ وذلك راجع إلى إدراكهم أنَّ المفردات وحدَها لا تُوصف بالمعنى التركيبي، ولا يُستغنى بها في الكلام إلاَّ إذا رُكِّبتْ مع غيرها، فيحدث معنى.

وقبل تعريف الجملة الإنشائية، حَريُ بي أنْ أعرِّف الإنشاء لغةً واصطلاحًا، **فـ " الإنشاء " معجم:** يتصل بمادة (ن، ش، أ)، ومفاده: الابتداء والخلق والإقبال والإيجاد، فأما كلمة "إنشائية"، فهي مصدر مكون من كلمة "إنشاء"، ويراد بها بالمدلول اللغوي: الإيجاد والاختراع[٣]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾[٤] ، فالإنشاء قسيم الخبر، فهما طرفان لعلم المعاني.

واصطلاحًا: هو كلام لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا لذاته، أي الكلام الذي ينشئه صاحبه ابتداءً، إذ ليس لمعناه قبل التلفظ به وجود خارجي أو لا يُطابقه[٥]، فهو معاكس للخبر ومضاد له؛ نحو قوله صلى الله

(١) انظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م، (١٥) .

(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، (١٢٥) .

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، مادة: (نشأ) .

(٤) انظر: سورة الواقعة، (٣٥) .

(٥) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (٦٩)، ودروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (١٠٥) .

عليه وسلم: " اتقِ الله حيْثُما كنتَ"[١]، فقد جاء في هذا الحديث الشريف أحد أساليب إنشائية، وهو أسلوب الأمر على صيغة "افعَل" في قوله: "اتَّقِ"، فلا يمكن وصف كلامه بالصدق أو الكذب؛ لأنه لا يقصد بكلامه إخبارًا عن وقوع حادثة، وليس لكلامه مدلول خارجي قبل النطق به، حتى يراجع السامع ذلك؛ ليؤكد صدقه أو مخالفة كلامه واقع المدلول الخارجي، وإنما أراد بكلامه أمرًا، وتحريض المسلمين على تقوى الذي خلقهم من عدم، ولم يكونوا شيئًا.

وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أَوْصني، قال: " لا تغضب"، فردَّد مرارًا، قال: لا تغضب"[٢]، فقد جاء هذا الحديث بأحد الأساليب الإنشائية، وهو "النهي" على صيغته الوحيدة المعروفة، وهي المضارع مع لا الناهية، ولا يقصد بكلامه إخبارًا عن حصول شيء أو عدمه، بل يريد أن ينهى عن الغضب؛ لأنه مبدأ للندامة، مسبب للخسارة، ومفتاح لكل بلاء، فإذا استطاع الإنسان مكاظمة غيظه، فقد غلب على هواه، وعالج مرضه، فالحلم من صفات حميدة قديمًا وحديثًا تمدح صاحبها لأنها من الرجولة.

ومثل هذا ينطبق على سائر أساليب الإنشاء من أمر واستفهام وتمنٍّ ونداء، فليس لمدلول أي لفظ منها قبل النطق به وجود خارجي يعرض عليه مدلول يقارب به، فإن طابقه قيل: إنه صادق، أو خالفه قيل: إنه كاذب، وعدم احتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب، إنما هو بالنظر إلى ذات الأسلوب بغض النظر عما يستلزمه خبرًا يحتمل الصدق والكذب[٣].

وعليه، فإنَّ تعريف " الجملة الإنشائية ": هي كلُّ كلام لا يصحُّ أنْ يُقال لصاحبه إنَّه صادقٌ فيه أو كاذب، أو كلُّ كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته؛ لأنَّ المُتكلِّم لا يُخبر عن شيء، فالجملة الإنشائية قائمة على أساس الطلب الذي يطلبه المُتكلِّم من المُخاطَب، وهي مرتبطة بتصوُّر المُتكلِّم ومشاعره، وإنْ خرج عن أغراضه الحقيقية أحيانًا إلى أغراض مجازية.

والإنشاء في الجملة الإنشائية ينقسم إلى قسميّن: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي، ويعني البلاغيون بالإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوبًا ليس حاصلاً وقت الطلب، ما لا تحصل مضمونها ولا يتحقق إلاَّ إذا

(١) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، عمر عبد الجبَّار، ح رقم :١٨، (١٣) .
(٢) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، ح رقم: ١٦، (١٢).
(٣) انظر: في البلاغة العربية علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، (٦٩).

تلفظت به؛ فطلب الفاعل في (افعل)، وطلب الكفُّ في (لا تفعل)، وطلب المحبوب في (التمني)، وطلب الفهم في (الاستفهام)، وطلب الإقبال في (النداء)، كل ذلك ما حصل إلاَّ بنفس الصيّغ المتلفظ بها، وبالإنشاء غير الطلبي ما لا يستلزم مطلوبًا ليس حاصلاً وقت الطلب، كصيغ المدح والذم، والعقود، والقسم، والتعجُّب، وكم الخبرية [١]، أي: الإنشاء الطلبي في اللغة العربية على أساليب تسعة هي: الاستفهام، والأمر، والنَّهي، والنداء، والدعاء، والعَرض، والتحضيض، والتَّمنِّي، والتَّرجِّي .

وسوف أتناول في هذا البحث الإنشاء الطلبي؛ لأنَّه يمتاز عن غيره بخروجه إلى معانٍ مجازية، تُفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، كخروج الاستفهام مثلاً عن معناه الأصلي (الاستخبار والسؤال) ليفيد عددًا من المعاني المختلفة في مقامات متباينة يقصدها المُتكلِّم.

٢- الأحاديث الأربعين النَّوويَّة:

ـــ التعريف بالنووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي (٦٣١هـ-١٢٣٣م / ٦٧٦هـ-١٢٧٧م) المشهور باسم "النووي" هو مُحدّث وفقيه ولغوي مسلم، وأحد أبرز فُقهاء الشافعية، اشتهر بكتبه وتصانيفه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم، كرياض الصالحين والأربعين النووية ومنهاج الطالبين والروضة، ولد النووي في نوى سنة ٦٣١هـ، وهي الجولان من أرض حُوران من أعمال دمشق، فهو الدمشقي، ولما بلغ عشر سنين جعله أبوه في دكان، فجعله لا يشتغل بالبيع والشراء عن تعلم القرآن الكريم وحفظه، حتى ختم القرآن وقد قارب البلوغ، ومكث في بلده نوى حتى بلغ الثامنة عشر من عمره، ثم ارتحل إلى دمشق. قدم النووي دمشق سنة ٦٤٩هـ، فلازم مفتي الشام عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري وتعلم منه، وبقي النووي في دمشق نحواً من ثمان وعشرين سنة، أمضاها كلها في بيت صغير في المدرسة الرواحية، يتعلّم ويُعلّم ويُؤلف الكتب، وتولى رئاسة دار الحديث الأشرفية، إلى أن وافته المنية سنة

(١) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م، (١٣)، وجواهر البلاغة، للهاشمي، (٦٩) .

٦٧٦هـ، في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وستمائة، توفي الإمام النووي بأرض فلسطين(١).

ـ أحاديث الأربعين وسبب تسميتها بذلك:

أكثَرَ عُلَماء الحديث – رحمهم الله تعالى – من السَّلَف الصالِح ومَنْ بعدَهم مِنْ جَمْعِ أربعين حديثًا في بابٍ من أبواب الشريعة المحمديَّة الغَرَّاء، سواء كانت في التوحيد أم في العبادات أم في الأخلاق أم الجهاد أم الزهد... وهكذا، في أصول الشريعة وفروعها، فأراد الإمام النَّوَوِيُّ – رحمه الله تعالى – جمْع أربعين حديثًا تشمَل ذلك كلَّه، فكانت الأحاديث الموسومة بـ"الأربعين النَّوَوِيَّة"، وهي في الحقيقة ثِنتان وأربعون حديثًا، ولكن على طريقة العرب في جبر الكسر والتقريب، وهي نَوَوِيَّة؛ لأنها منسوبة إلى الإمام النَّوَوِيّ جامِعِها – رحمه الله تعالى – كما نصَّ على ذلك بقوله: "وقدِ استَخرتُ الله – تعالى – في جمع أربعين حديثًا"، واشتَهرت هذه الأربعين التي جمَعَها وكَثُر حفظها، ونفع الله بها ببركة نيَّة جامِعِها وحسن قصده – رحمه الله تعالى... وأنْ أَضُمَّ إلى ذلك كلِّه أحاديث أُخَر من جَوامِع الكَلِم الجامِعَة لأنواع العلوم والحِكَم؛ حتى تكتَمِل عدة الأحاديث كلها خمسين حديثًا، شرَط الإمام النَّوَوِيُّ – رحمه الله تعالى – الصحَّة في "أربعينه" كما نصَّ على ذلك في مقدمته بقوله: "ثم ألتَزِم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد؛ ليسهل حفظُها، ويعمَّ الانتِفاع بها – إن شاء الله تعالى"، وكلُّ حديثٍ من تلك الأحاديث الأربعين النَّوَوِيَّة قاعِدَة عظيمة، ويَدُور عليها الإسلام(٢).

٣- التَّداوليَّة وآليَّاتها:

يعود استعمال مصطلح التداوليَّة (Pragmatics) بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي(تشارلز موريس) الذي استخدمه سنة ١٩٣٨م؛ انطلاقًا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية، **ولعلَّ أنسب** ما قِيل في تعريف **التَّداوليَّة** وتحديد اختصاصاتها، هو ما قاله**(جورج يول):** "

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، رتبه وزاده فوائد واعتنى به: حسان عبد المنَّان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، (٣/ ٤١٧٤: ٤١٧٦)، والمنهل العَذْب الرَّوي في ترجمة قطب الأولياء النَّووي، للسخاوي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، (١٠: ١٥) .

(٢) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، (٢- ٣)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣/ ٤١٧٥)، والمنهل العَذب، للسخاوي، (٢٣: ٢٧) .

تختص **التداوليـة** بدراسة المعنى كما يُوصّله المُتكلِّم ويُفسِّره المستمع أو المُخاطَب؛ لذا فإنَّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أنْ تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة...، **التداولية** هي دراسة المعنى الذي يقصده المُتكلِّم...، **التداولية** هي دراسة المعنى السياقي...، **التداولية** هي دراسة كيفية ايصال أكثر ممَّا يُقال"(١).

ـ آليَّات التَّـــــداوليَّة :

تطوَّرت الدراسات اللسانية خلال القرن العشرين بشكل ملحوظ، وقدَّمت أبحاثًا رائدةً للغة في مستوياتها(الصوتية والتركيبية والدلالية)، والملاحظ أنَّ هذا التطوُّر لم يُواكبه انشغال متعمِّق ببعض إشكالات الاستعمال اللغوي، من قبيل أفعال الكلام والإحالة، والافتراض المسبق والأقوال المضمرة، وبالتبعية ظلَّت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكالات بذريعة أنَّها عصيَّةٌ عن البحث، فحقها أن يطويها النسيان، بيدَ أنَّ التحولات المعرفية التي تفجَّرت مع خمسينات القرن العشرين، أظهرت أنَّه من المتعذَّر الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال اللغوي(٢).

ولكن يَصعُب حَصر الآليَّات التي يمكن إدراجها ضمن البَحْث التَّداوليّ؛ نظرًا لأسباب عديدة، ومنها:" اهتمام بالتداولية بالمعنى المراد في داخل السياق الخاص بالاستعمال اللغوي الحيّ الفرديّ بين متكلم بعينه ومتلقٍّ بعينه، ونظرًا لترتيب البحث التداولي بعد البحث التركيبي والبحث الدلالي، نظرًا لذلك كلِّه نتوقَّع اتساع البحث في التداولية، وتشعّب موضوعاتها تشعبًا يصعب حصره، ولعل هذا الاتساع والتشعَّب وصعوبة حصر الموضوعات التي يمكن إدراجها ضمن البحث التداولي هو الذي جعل المدارس البنيوية تنأى بنفسها– بدرجات متفاوته– عن الخوض في موضوع المعنى ومشكلاته، وما يتصل به من عناصر السياق غير اللغوي بصفةٍ خاصّة " (٣).

(١) انظر: التَّداوليَّة، جورج يول، ترجمة: قصي العتَّابي، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠١٠م، (١٩) .
(٢) انظر التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمَّان، الأردن، ط١، ٢٠١٦م، (٧٥) .
(٣) انظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، على محمود حجي الصَّرَّاف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ٢٠١٠م، (٧) .

والمهم – في هذا المقام – أن يستعرض البحث استعراضًا موجزًا لآليَّات التَّداوليَّة، التي اتَّفقَ عليها معظم العلماء والدارسين للتَّداوليَّة، ويمكن عرضها كما يلي:

١ – السِّياق، وأسباب ورود الحديث . ٢ – الإشاريَّات . ٣ – الافتراض المُسبَق .

٤ – الاستلزام الحواري . ٥ – الأفعال الكلامية .

١ –السِّياق، وأسباب ورود الحديث:

تعتمد اللغة على السِّياق في ضبط معانيها وإزالة الغموض عنها، **فمعنى السياق عند أصحاب النظرية السِّياقية**، هو: استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تُؤدِّيه، **ولهذا صرَّح زعيم المدرسة السِّياقية(فيرث)(Firth)** بأنَّ المعنى لا ينكشف إلاَّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإنَّ دراسة دلالات الكلمات تتطلَّب تحليلاً للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدَّد وفق السياقات التي ترد فيها [١].

وتتنوَّع السِّياقات بتنوّع الظروف المُحيطة بإنتاج نصٍ ما سواء أكانت ظروف داخليّة أم خارجيّة، ويتكامل مفهوم السِّياق طبقًا للتحليل اللغوي، ونظرية(فيرث)، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم السِّياق إلى قسمين:

أوَّلاً: السِّياق الداخلي للحدث اللغوي، ويتمثَّل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معيَّن. **ومهمَّته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ.**

ثانيًا: السِّياق الخارجيّ، ويتمثَّل في السياق الاجتماعي، أو سياق الحال، وهو يُشكِّل الإطار الخارجي للحدث الكلامي، أو سياق الموقف، وهو البيئة غير اللغوية التي تُحيط بالخطاب وتُبيِّن معناه، أي: الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات[٢] .

(١) انظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، (٦٨-٦٩) .

(٢) انظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٨م، (١٥٨)، والسياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المنَّاع، الناشر: مؤسسة السياب(لندن)- منشورات الاختلاف(الجزائر)- منشورات ضفاف(لبنان)، ط١، ٢٠١٣م، (٢٥) .

ومعنى ما سبقَ أنَّ السِّياق له نوعان: الأوَّل سياق لُغوي: وهو الذي يُتناول فيه التركيب اللُّغوي أو الجملة من حيث أصوات كلمات هذا التركيب وبُناها الصرفيَّة والظواهر النَّحويَّة، وهذا السِّياق لا تُراعى فيه المُؤثِّرات الخارجيَّة، والثاني سياق غير لُغوي: وهو المُراد والمُعبَّر عنه بالتَّداوليَّة، ويشتمل على ما يمكن أنْ يُؤثِّر في التراكيب اللُّغويَّة من مؤثِّرات خارجيَّة .

من الأمور الواجب مراعاتها في هذا البحث معرفة أسباب ورود الحديث؛ لأنَّها تُمكننا من معرفة المعنى المقامي (السياق غير اللغوي) للحديث، ولا شكَّ أنَّ معرفتها تُعين على فهم أدق لمعنى الحديث، فسبب الورود يُفسِّر لنا النَّصّ في زمان الحادثة ومكانها وأشخاصها.

التعريف بعلم أسباب ورود الحديث:

هو علم يُبحث فيه عن الأسباب الباعثة على ذكرِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لهذا الحديث ابتداءً، وهذا السبب قد يكون سؤالاً، وقد يكون حادثة، وقد يكون قصة، فيقول النبي– صلى الله عليه وسلم– الحديث بسببه أو بسببها.

أقسام الأحاديث بالنسبة إلى أسباب الورود:

تنقسم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث سبب الورود إلى قسمين:

الأول: ماله سبب قيل لأجله واقتضى وروده، **والثاني:** ما لا سببَ له، وإنما قيل ابتداءً، أي: هو ما سيق ابتداء بلا سبب ظاهر.

من الأحاديث ما تكون ابتدائية من غير سبب وهي كثيرة، ومنها ما تكون بعد سبب، سواء كان هذا السبب سؤالا أو حادثة أو قصة، فيعقب النبي –صلى الله عليه وسلم– على السبب، فيكون قرينةً مُعِيْنة على فهم معنى الحديث؛ إذ قد يكون لفظ الحديث عاماً أو خاصاً، أو يكون ظاهره موهماً معنىً غير مراد، فبمراعاة السياق الذي قيل فيه الحديث، ومراعاة الملابسات والظروف التي توضح مقصود الحديث، يسدد الناظر في تنزيله على المعنى الصحيح.

ومن أهم ما يُفهم به النص معرفة سبب نزوله إن كان قرآنًا، وسبب وروده إن كان حديثًا؛ حيث إن الوقوف على سبب النزول، وكذلك سبب الورود يجعلُ الباحث مدركًا لحقيقة المعنى وأبعاده، ومنتبهًا لوجه الارتباط بين النص والحُكم المستنبَط منه، والحِكمة التي تكون في هذا الارتباط[١] .

٢ – الإشـــاريَّـــات (Deixis) أو(المرجعيات أو الإحالات أو العائدات أو المؤشِّرات) :

مفهوم الإشارة ــ وفقًا للأزهر الزنَّاد ــ هو " مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذَّات المُتكلِّمة أو الزمان أو المكان"[٢]، **ولهذه الإشاريَّات أنواع،** منها الشخصيَّة، والزمانيَّة، والمكانيَّة[٣].

فالروابط الداخليَّة، هي التي تربط بين وحدات النَّصّ، وتُحقِّق تماسكه وانسجامه، **والروابط التي تربطه بعالمه الخارجيّ، وهي الإحالة،** التي تتحدَّد من خلال العنصر اللغوي والسِّياق الوجودي أو الخارجي، ومن ثَمَّ تُمثِّل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللغوية جزءًا من مقاصد الخطاب، أي أنَّ مرجعيات الملفوظية، ومجموعتها الأكثر تمثيلية في: أنا، أنت، هذا، هنا، تفهم في سياقها الخارجي، ولا تتحقَّق إلاَّ من خلال الاستعمال [٤].

يُفهم من ذلك أنَّ الإشاريات "عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفُّظ، وهو فعل يقتضي متلفظًا يتوجَّه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني مُحدَّد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى.

(١) انظر: أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب الحديث، للسيوطي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، (١١: ٢٠)، والبيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الدمشقي (ت ١١٢٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، (٣٢/١-٣٣)، ومقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، عائشة عبدالرحمن، ذخائر العرب(٦٤)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م، (٦٨٩-٦٩٩)، وأسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، محمد رأفت سعيد، كتاب الأُمَّة سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤١٤هـ، (١٠٢-١٠٣)، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد محمد أبوشُهبة، دار الفكر العربي، القاهرة، (٤٦٨) .

(٢) انظر: نسيج النَّصّ، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، (١١٦) .

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (٢٠-٢٢) .

(٤) انظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، تأليف: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م، (٩٤) .

فضمير المُتكلِّم(أنا) يظلُّ مُجرَّدًا، مبهمًا، ما لم تقترن إحالته بسياق معلوم لدى المُتخاطبين، وكذلك الحال مع(الآن) و(هنا) وغيرهما"[١].

وعليه، يتضح أنَّ الإشاريات تعتمد اعتمادًا كُليًّا على السِّياق الذي تُستعمل فيه، وما يُمكن أنْ تُحيل عليه من المراجع .

٣ – الافتراض المُسبَق (Presupposition) :

عند كُلِّ عملية من عمليات التبليغ، ينطلق الأفراد (المُتخاطِبُون) من معطيات أساسيَّة مُعترف بها، لا يُصرِّحُ بها المُتكلِّمون، وإنَّما تُشكِّلُ خلفيَّةَ التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغيَّة، **فقولنا: كيف حال زوجتك وأولادك؟، نفترض مسبقًا أن يكون المُخاطَب له أبناء وزوجة، وأنَّ المُتكلِّم له علاقة حميمة مع المُخاطَب، أي أنَّ** المُتكلِّم يُوجِّه حديثه إلى المُخاطَب على أساس ممَّا يُفترَض سلفًا أنَّه معلومٌ له[٢].

ولذلك صرَّحَ مسعود صحراوي، بأنَّ الافتراض المسبق من المباديء الأساسية في كل حوار أو عملية تواصل، فقال: " في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السِّياقات والبنى التركيبيَّة العامَّة "[٣]، **وعرَّفه (جورج يول) بـ** " أنَّه شيء يفترضه المُتكلِّم يسبق التَّفوُّه بالكلام، أي أنَّ الافتراض المُسبق موجود عند المُتكلِّمين، وليس في الجمل..." [٤].

٤–الاستلزام الحواري (Conversational implicature) :

يُعدُّ بول جرايس (H. P. Grice) واضع مفهوم الاستلزام التخاطبي، أو (الحواري) أو(الخطابي) أو(المحادثي)، و ظاهرة الاستلزام الحواري هي من صميم التَّداوليَّة، وتدلُّ على أنَّ عملية التَّخاطب لا

(١) انظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، (٧٦-٧٧) .

(٢) انظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م، (٣٤)، والتداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، (٣١)، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (٢٧) .

(٣) انظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (٣٠-٣١) .

(٤) انظر: التَّداوليَّة، جورج يول، (٥١) .

تقتصر معانيها ودلالاتها على ما تدلُّ عليه الصيغة الصوريَّة(الشكليَّة)، وإنَّما تحمل معاني لا تُعدُّ ولا تُحصى... [١] .

ويُعرَّف الاستلزام الحواري بأنَّه: " عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل: إنَّه شيءٌ يعنيه المُتكلِّم ويُوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءًا ممَّا تعنيه الجملة بصورة حرفيَّة" [٢] ، **فالاستلزام الحواري** ينبع منطقيًّا ممَّا قِيل في الكلام، أي أنَّ الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المُتكلِّمون[٣] .

وعليه، فإنَّ الاستلزام الحواري حلقة الوصل بين المعنى الحرفي المباشر الصريح، والمعنى المُضمَر أو المُتضمِّن الذي تستلزمه الجملة في طبقات مقامية معينة، ويُعدُّ من أهم جوانب البحث التَّداوليّ؛ لأنَّه المعنى المُستفاد من السِّياق.

ولكي يتمكَّن المُؤوِّل من الوصول إلى فهم صحيح للجملة المُستلزمة حواريًّا، حاول (بول جرايس) أنْ يضع العبارات اللغوية في قوالب تُسهِّل على المُؤوِّل استنتاج المعنى، فقسَّم الاحتمالات الدلالية للعبارة إلى قسمين:

١- **المعاني الصريحة:** هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

أ- **المحتوى القضوي:** هو مجموع معاني مفردات الجملة، حيث يرتبط بعضها ببعض في سياق تركيبي أو علاقة إسناد.

ب- **القوة الإنجازية الحرفيَّة:** وهي القوة الدلالية المُؤشَّر لها بأدوات تُصبغ الجملة بصبغة أسلوبيَّة ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء...

٢- **والمعاني الضمنيَّة:** هي المعاني التي لا تدلُّ عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسِّياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

---

(١) انظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٢هـ٢٠١١م، (١٥) .

(٢) انظر: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، (٧٨) .

(٣) انظر: التَّداوليَّة، جورج يول، (٥١) .

أ- **معان عُرفِيَّة:** وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلاً، يجعلها لا تتغيَّر بتغيّر السِّياقات، مثل معنى: الاقتضاء، ويتمثَّل فيما اصطلح عليه أصحاب اللغة الواحدة من دلالات ومعانٍ لألفاظ مُعيَّنة، لا تتغيَّر بتغيُّر السِّياقات والتركيب، **مثل:"لكن"** في العربية التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفًا لِمَا يتوقَّعه السامع.

ب- **معان حواريَّة استلزاميَّة أو (سياقيَّة):** وهي التي تتولَّد طبقًا للمقامات التي تُنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزاميَّة [١] .

٥ - الأفعـــال الكـــــلاميَّـــة (Speech acts) :

تُعدُّ الأفعال الكلامية مجالاً من مجالات البحث اللسانيّ التَّداوليّ، **وتتعدَّد تعريفات الفعل الكلامي** تبعًا لِتعدُّد المرجعيات الابستمولوجية(الدراسة العلميَّة) التي ينطلق منها الباحثون، ومع ذلك يمكن تعريف الفعل الكلامي في التَّداوليَّة **بأنَّه** " كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك، يُعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسَّل أفعالاً قوليَّة لتحقيق أغراض إنجازية(كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيرية تَخُصُّ ردود فعل المُتلقِّي(كالرفض والقبول)، ومن ثَمَّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيريًّا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المُخاطَب، ومن ثَمَّ إنجاز شيء ما" [٢].

وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان جون أوستن، وتلميذه جون سيرل، حول هذا المفهوم اللساني التَّداوليّ الجديد، يتَّضح أنَّ الفعل الكلامي يعني التَّصرُّف(أو العمل) الاجتماعي المُؤسَّساتي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام؛ ومن ثَمَّ فـ"الفعل الكلامي" يُراد به الإنجاز الذي يُؤدِّيه المُتكلِّم بمجرَّد نطقه بمنطوقات معينة، ومن خلال منظومة من الأفعال كالنطقيَّة والإنجازية والتأثيريَّة، ولكن أبرز ما يُمثِّل ويُحقِّق الفعل الكلامي هو الفعل الإنجازي الذي يكاد يساوي الفعل الكلامي، فكلُّ فعل إنجازي هو فعل كلامي طبقًا لنظرية الأفعال الكلاميَّة[٣].

(١) انظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (٣٤-٣٥)، والتداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠١٤م، (٤٦-٤٧) .

(٢) انظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (٤٠)، و في البراجماتية، علي الصَّرَّاف، (٢٢)، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (٤٢) .

(٣) انظر: في البراجماتية، علي الصَّرَّاف، (٢٢) .

وقد كان أوستن يلحُّ على القيمة التَّداوليَّة لِعبارات لُغويَّة كثيرة تُستخدم في اللغة الإنجليزيَّة، وربما في كلِّ اللغات، ومن الجديد الذي يُخالف به الفلاسفة الكلاسيكيين، ويُوافق به أسلافه من فلاسفة التحليل، **إدخاله مفهوم " القصديَّة "** Intentionnalite في فهم كلام **المُتكلِّم**، وفي تحليل العبارات اللُّغويَّة، وهو مفهوم أخذَه **أوستن** من الفيلسوف **هوسرل**، واستثمره في تحليل العبارات اللُّغويَّة، **وتتجلَّى مقولة القصديَّة في** " الربط بين التَّراكيب اللُّغويَّة، ومُراعاة غَرَض **المُتكلِّم**، والمقصد العام من الخِطاب، في إطار مفاهيمي مُستوف للأبعاد التَّداوليَّة للظاهرة اللُّغويَّة" [١]، **أي أنَّ أوستن اعتبرَ كلَّ فعل كلاميّ يقوم على مبدأ القصديَّة .**

تبنَّى (سيرل) نظرية أستاذه (أوستن) ـ سأطبّقُ دراستَي وَفْقِ تصنيفات "جون سيرل" ـ، بعد أنْ أدخل عليها بعض التعديلات والإضافات التي أسهمت في تطويرها، حيث أضاف إليها بعض الاقتراحات والأفكار الجديدة التي مسَّتْ شروط إنجاز الفعل الكلامي، وتحليله، وتصنيف أفعال الكلام، سأتناول فيما يلي مؤجزًا أهمَّ الأفكار والاقتراحات التي قدَّمها(سيرل) لنظرية أفعال الكلام مع الربط بينها وبين ما قدَّمه(أوستن) لتكاملهما في توضيح النظرية.

قد تعرَّض تمييز(أوستن) للأفعال اللفظية عن الأفعال الإنجازيَّة إلى انتقادات كثيرة، أهمَّها نقد(سيرل)، فقد وجد أنَّ فكرة أوستن عن الفعل الإنجازيّ وتمييزه عن الفعل اللفظي غير مفيدة إلى حدٍّ بعيد، واضطر إلى أن يتخذ تمييزًا مختلفًا تمامًا بين الأفعال الإنجازيَّة والأفعال القضويَّة[٢]، فقام بتعديل التقسيم الذي قدَّمه أوستن للأفعال الكلامية فجعله **أربعة أقسام**، أبقى منها على القسمين الإنجازيّ والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

أحدهما: الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والآخر: الفعل القضويّ propositional act: وهو يشمل المُتحدَّث عنه أو المرجع، (أي فعل الإحالة)، والمُتحدَّث به أو الخبر(فعل الحمل)، وهو الإسناد بالمصطلح القديم؛ أي نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المُحال عليه. ونصَّ على أنَّ الفعل القضويّ لا يقع وحده، بل يُستخدم دائمًا مع فعل

(١) انظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (١٠) .

(٢) انظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، (٢٠٦)، وفي البراجماتية، علي الصَّرَّاف، (٥٣) .

إنجازي في إطار كلامي مُركَّب؛ لأنَّك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضويّ دون أنْ يكون لك مقصد من نُطقه.

ـ **فعل الإنجاز**: يُعَدُّ هذا الفعل **عند (سيرل)** الوحدة الصُّغرى في الاتِّصال اللغوي، وتُعَدُّ قُوَّتهُ الإنجازيَّة دليلاً على تبيين نوع الفعل الإنجازيّ الذي يُؤدِّيه المُتكلِّم من خلال تلفُّظه بالجملة، ويكمن ذلك في تركيب الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم، وغير ذلك[١] .

ويُفهم من هذا أنَّ الفعل القضوي، هو يُعادل الفعل الدلالي الذي كان جزءًا من فعل القول في تصوُّر (أوستن)، إلاَّ أنَّه عند (سيرل) يُشكِّل فعلاً مستقلاً عنه، وهو ما يشتمل على قضيّة تظهر من معنى الجملة حرفيًّا لا ما يَقصدُهُ المُتكلِّم من الجملة بمكوِّناتها، أي أنّ الفعل القضوي عند (أوستن) يشمل عنصري"المعنى والإحالة"، وعند (سيرل) يتضمّن فعلي"الإحالة والحمل"[٢].

ـ **فعل التأثير**: هو تمامًا مثل ما طرحه(أوستن)، ولكن ينبغي أنْ نُشير إلى أنَّ (سيرل) شكَّ في وجود أفعال تأثير بالقول؛ لأنَّه ليس من الضروري عنده أنْ يكون لكلِّ فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما[٣]، ويُراد به الأثر الذي يُخلِّفه فعل القول أو الإنجاز على المُخاطَب، وهو ما يظهر عادةً في ردِّ فعله... لذا يختصُّ هذا الفعل بالمُخاطَب، وهذا يعني من جملة ما يعني أنَّ المُتكلِّم يُحاول من خلال هذا الفعل أنْ يُؤثِّر على قناعات وأفكار ومشاعر مستمعه ويستميله إليه[٤]، ويُتوقَّف على التأويل الذي يُعطى لقول المُتكلِّم التأثيري[٥]، وليس من الضروري في الأفعال التأثيرية أنْ تُؤدَّى قصديًّا، فالمُتكلِّم قد يُنجز فعلاً تأثيريًّا في المُخاطَب كالإزعاج أو التخويف دون قصد منه، فالأفعال التأثيريّة قد تكون قصديَّة وقد لا تكون[٦].

(١) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، و محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، (٣٣-٣٤)، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، (٤٩)، و(٧٤) .

(٢) انظر: الاستلزام الحواري، العياشي أدراوي، (٩٢) .

(٣) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، (٣٣)، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (٧٥) .

(٤) انظر: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، (٩٩) .

(٥) انظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلالي دلاش، (٢٦) .

(٦) انظر: العقل واللغة والمجتمع(الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشرون: الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، (٢٠٣) .

كان (أوستن) قد فرَّق بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازيَّة، وفرَّق بين الأفعال الإنجازيَّة الصريحة والأوليَّة، ثمَّ جاء (سيرل) فخطا في هذا الاتجاه خطوةً أخرى واسعةً تتمثَّل في التمييز بين ما أسماه الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة، أو الحرفيّة وغير الحرفيَّة، أو الثانوية والأوليَّة، **وأكثرها شيوعًا عند(سيرل) هو المصطلح الأول:" المباشرة وغير المباشرة"**[١]، وفيما يلي سنُوضِّح المفهوم من هذه الأفعال:

الأفعال الإنجازيّة المباشرة عند (سيرل)، هي " الأقوال التي تتوفّر على تطابق تامّ بين معنى الجملة ومعنى القول، ويكون الفعل مباشرًا إذا تطابق القول(الفعل وحُكمه ونوع الجملة) مع الإنشاء، مثال ذلك: (أُعلن عن افتتاح الجلسة – آمرك بالخروج – افتح النافذة – أين وضعن الكتاب؟)...، فهذا هو الفعل الإنشائي الثانوي الذي بواسطته يتلفَّظ المُتكلِّم بجملةٍ يُطابق معناها الحقيقي"[٢]، حين يكون الأمر بسيطًا، يتلفّظ المُتكلِّم بجملةٍ، ليقصد الدلالة بالضبط على ما يقوله حرفيًّا[٣].

ويرى(سيرل) أنَّ الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة، هي " التي تُخالف فيها قوَّتها الإنجازيَّة مراد المُتكلِّم، فالفعل الإنجازي يُؤدَّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر..." [٤]، وهي عمل لا قوليّ، منجز بطريقة غير مباشرة " ويتعلَّق الأمر بأقوال يرمي من خلالها المُتكلِّمون إلى التعبير بشكل ضمنيّ عن شيء آخر غير المعنى الحرفيّ مثلما هو الشأن في التلميحات والسخريَّة والاستعارة وحالات تعدُّد المعنى "[٥].

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، (٨٣) .
(٢) انظر: مدخل إلى اللسانيات التَّداوليَّة، الجيلالي دلاش، (٢٥-٢٦) .
(٣) انظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ١٩٨٦م، (٧١) .
(٤) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، (٨٤) .
(٥) انظر: التَّداوليَّة من أوستن إلى غوفمان، فليب بلانشيه، (٦٨) .

المبحث الأوَّل

التحليل التركيبي للجملة الاستفهامية في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي.

الاستفهام معجم: مصدر استفهمت أي طلبت الفَهم، والفَهم: معرفتك الشيء بالقلب[١]، أو هو طلب خبر ما ليس عند المُسْتَخْبر[٢]، واصطلاح: " هو طلب الفَهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا، بوساطة أداة من أدواته، وهي: الهمزة، وهل (حرفان)، ومَنْ، وما، ومتى، وأين، وأيَّانَ، وأنَّى، وكيف، وكم، وأيّ (أسماء) "[٣]، أو " هو من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علميَّة مجهولة لدى المُستفهِم، وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويُستدلُّ على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية "[٤].

إنَّ الاستفهام عند إفادته لمعانيه البلاغية يظلُّ باقيًا فيه معنى التنبيه وإثارة ذهن المخاطَب ولفته إلى موضع التعجب أو الإنكار أو التقرير، حتى يتأمل ويتدبر ويعلم أنَّه لا جواب لهذا الاستفهام إلاَّ بالإذعان للمعنى الذي يلفته إليه[٥].

من طبيعة الإنسان إذا لم يُرد التصريح بالمعنى الذي يقصده، فإنَّه يتخذ للإشعار به أسلوبًا غير مباشر، مثل أنْ يحاول جعل المخاطَب هو الذي يُعبِّر بنفسه عن المعنى، أو يُدركُه بنفسه ولو لم يُعبِّر عنه بكلامه، وذلك عن طريق طرحه على المُخاطَب جملةً استفهاميَّةً موجَّهةً توجيهًا خاصًّا، إذ يحيطها بقرائن تجعله يدرك المعنى بنفسه[٦].

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (فهم) .
(٢) انظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، تحقيق: مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م، (١٨١) .
(٣) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، (١٨) .
(٤) انظر: البلاغة العربية (أُسسها وعلومها وفنونها)، عبد الرحمن حَبَنَّكه الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، (١/ ٢٥٨) .
(٥) انظر: علم المعاني، بسيوني فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥م، (٣٩٤) .
(٦) انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكه، (١/ ٢٧٠- ٢٧١) .

وعليه، فمفهوم جملة الاستفهام: هي نمط تركيبي من الجُمل الإنشائية الطلبية، فهي طلب العلم عن شيء لم يكن معلومًا أصلاً، أو طلب الفَهم أو معرفة شيء ما يدفع المُستفهِم إلى الاستفهام لغَرض في نفسه.

ورد الاستفهام في سبعة أحاديثٍ من الأحاديث الأربعين، وفي اثنتي عشرة جملة استفهامية[١]، واشتملت الجُمل الاستفهاميَّة في الأحاديث على معانٍ وأغراض بلاغيَّة مختلفة، مثل: التشويق أو الاستبطاء أو التقرير والتوكيد أو التقرير والإنكار أو التهديد، وقد استخدم المُتكلِّم بعضًا من أدوات الاستفهام، مثل: الهمزة، ومَنْ، وأَنَّى، وهل، ومن الأمثِّلة التطبيقيَّة ما يلي :

ـ عَنْ أَبِى ذَرٍّ – رضي الله عنه– أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النبي – صلى الله تعالى عليه وسلَّم – قَالُوا لِلنَّبِيِّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِى أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِى حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِى الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » رواه مسلم[٢] .

يتمثَّلُ السِّياق الدَّاخليّ للحدث اللغويّ لجملة الإنشاء الاستفهاميَّة في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التَّركيب، فالبناءُ التَّركيبيُّ الشَّكليُّ لِجملة الإنشاء الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)**، فإذا تأملنا هذه الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة نجد أنَّ هناك نقص في الكلام مردَّه إلى الحذف، **فالهمزة:** للاستفهام، وهي في هذا المقام أُريد بها التصديق، وهو إدراك النسبة، فهذه الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة أُريد بها التصديق، **والواو:** للعطف والربط، حرف عطف للجملة على الجملة التي قبلها، تفيد تعليل جملة الاستفهام، ويكون تقدير المعطوف والمعطوف عليه: أَيتصدقون وليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به، **وأمَّا الحذف:** فنجد أنَّ اسم **ليس** محذوف تقديره: الشأن أو الأمر، أي: أَليس الشأن

(١) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، ح رقم: ٢، (٦)، ح رقم: ٧، (٨)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ٢٢، (١٥)، ح رقم: ٢٥، (١٧)، ح رقم: ٢٥، (١٨)، ح رقم: ٢٥، (١٨)، ح رقم: ٢٧، (١٩)، ح رقم: ٢٩، (٢٠)، ح رقم: ٢٩، (٢٠)، ح رقم: ٢٩، (٢١)، ح رقم: ٢٩، (٢١) .

(٢) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، ح رقم: ٢٥، (١٧-١٨).

أنَّ الله قد جعل...، **وقد:** هنا تفيد التحقيق؛ لأنَّ ما بعدها فعل ماضٍ، **تَصَّدَّقُون:** أصله " تتصدَّقُون "، أُدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادا، فأصبح " تصَّدَّقُون "، وجملة: " قد جعل الله لكم ما تصَّدَّقُون " في محلِّ نصب خبر ليس[١]، كلُّ هذه القرائن ساهمت في وضوح السِّياق اللُّغويّ.

الهمزة أصل أدوات الاستفهام، وهي أُمُّ الباب عند أكثر النحويين والبلاغيين؛ لأنَّها تدل على الاستفهام أصالة، ولأنَّها يُستفهم بها عن مفرد، وتنفرد عن بقية أدوات الاستفهام بخصائص **منها:** تمام الصدارة في الاستفهام، فهي تدخل على أدوات الشرط، و(مَنْ) الاستفهاميَّة، وتُقدَّم على أحرف العطف الثلاثة (الواو، والفاء، وثُمَّ)؛ وذلك تحقيقًا لأصالتها في موقعها في صدر الكلام، وهذا يدلُّ على قُوَّة الهمزة في بابها، ولها الرُّتبة الصدريَّة، **ومن خصائص الهمزة:** أنَّها ترد لطلب التصديق والتصور معًا، وهي تكون للتصديق، إذا كان السائل يريد أن تكون الإجابة إثباتًا أو نفيًا، نحو: أَقام زيدٌ؟، وتكون للتصور، إذا كان السائل يطلب أن تكون الإجابة بالتعيين والتحديد، ولا يكون هذا المعنى إلاَّ إذا وليتها " أم " المعادلة المتصلة، نحو: أَقام زيدٌ أم قعد؟[٢] .

والمعنى الدلالي لجملة الإنشاء الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)**، هو ما قاله شُرَّاح الحديث: يُحدِّثنا أبو ذرٍّ – رضي الله عنه – عن مشهد حضره أيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورأى موقف رسول الله وتصرُّفه الحكيم فيه، ورحمة الإسلام وسعة أبواب الخير فيه، هذا المشهد هو: أنَّ ناسًا فقراء من أصحاب رسول الله رأوا أنَّ باعهم قصيرة عن فعل الخيرات؛ حيث إنَّهم لا يملكون المال ليتصدقوا به، ورأوا أصحابهم وإخوانهم من ذوي الثراء والغِنى يسارعون إلى إنفاق المال بجود، وعللَّ

(١) انظر: إعراب الأربعين حديثا النووية، حسني عبد الجليل، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، (١٧٤) .

(٢) انظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، (١٧٤/٣: ١٨٩)، وأَمالى ابن الشَّجريّ، هِبة الله بن علي العَلَويّ(ت ٥٤٢ه)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، (٤٠٠/١)، والإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، للخطيب القزويني(ت ٧٣٩ه)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، (١٠٨-١٠٩)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، المحقق: حسن حمد، أشرف عليه وراجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م، (٤٢/١-٤٣)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق وشرح: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلميَّة، الكويت، ١٩٧٩م، (٣٦٠/٤-٣٦١) .

رسول الله بالاستفهام: أيتصدقون وليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟، فذكر لهم أنَّ الصدقة لا تقتصر على الصدقة بالمال[١] .

ما سَبَقَ تحليله يُمثِّلُ السِّياق الداخلي للحدث اللغويّ في جملة الإنشاء الاستفهاميَّة، أي: في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التركيب .

ويتمثَّل السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ (غير اللُّغويّ) للحدث الكلاميّ للحديث في السِّياق المقاميّ(أي: الجو الخارجي الذي يُحيط بالكلام من ظروف وملابسات، وهو البيئة غير اللغويَّة التي تُحيط بالحدث الكلامي وتُبيّن وتُؤثِّر في معناه)، وهذا يتمثّل في أسباب ورود الحديث: " عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – : أَنَّ فُقَرَاءَ المهاجرين أَتَوْا النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم –، فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيم، فقَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلا نَعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – : أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ : ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً، قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) [المائدة: ٥٤] "[٢].

دلَّ سبب ورود الحديث على الحالة الاجتماعيَّة للمهاجرين المُتمثِّلة في الفقر، وأزال السياق الاجتماعي الغموض الذي تشتمل عليه الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)**، وبيَّنَ غرض المُتكلِّم (الرسول صلى الله عليه وسلَّم) من إيراد هذا الاستفهام، والمُتمثِّل في إنكار المُخاطَب (فقراء المهاجرين)، أو إقناع المُخاطَب واطمئنانه .

(١) انظر: شرح الأربعين حديثًا النوويَّة، لابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ه)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (٦٩)، والتعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفيّ (ت ٧١٦ه)، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، (١٩٤)، وجامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلم، لابن رجب (ت ٧٩٥ه)، تعليق وتحقيق: ماهر الفحل، دار ابن كثير: دمشق وبيروت، ط١، ٢٠٠٨م، (٥٣٣-٥٣٤)، والوافي في شرح الأربعين النووية، تأليف: مصطفى البُغَا، ومحيي الدين مِستو، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط١٧، ٢٠٠٧م، (١٨٩-١٩٠) .

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٥٣٤) .

وعليه، فالخِطاب في جملة الإنشاء الاستفهاميَّة السابقة **لفقراء المهاجرين .**

وتكمنُ قَصديَّة المُتكلِّم في أنْ يتبيَّنَ المُخاطَب ما يرغبُ المُتكلِّم في أنْ يُوصِلَ إليه من معانٍ، **وقصديَّة المُتكلِّم جاءت على صورة الاستفهام التقريريّ، على أنَّ المُرادَ منه اقناع المُخاطَب (** فقراء المهاجرين **)**، أو الإنكار على المُخاطَب، **وذكر الزَّركشيُّ(ت ٧٩٤هـ) أنَّ استفهام التَّقرير** هو الاستفهام الذي يحمل المُخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عندَه، وأكثر الأدوات استعمالاً في استفهام التقرير: الهمزة، ويجب أنْ يلي الأداة الشيء الذي تقرَّر، فتقول في تقرير الفعل (أَضربتَ زيدًا)، والفاعل (أَأَنتَ ضربت)، أو المفعول (أَزيدًا ضربتَ)، **وحقيقة استفهام التقرير أنَّه استفهام إنكار**، والإنكار نَفي، وقد دخل على المَنفي، ونَفي المَنفي إثبات، وهذا الاستفهام يأتي على وجوه: منها الإثبات مع التَّوبيخ... [١] .

وبناءً على ما سَبَقَ، فالسِّياق اللُّغوي ينظِّم العلاقات الدلاليَّة بين اللَّفظ مع غيره في داخل نظام الجملة، وعَلاقتها بما قبلها أو بعدها، و**السِّياقُ الخارجيُّ التَّداوليُّ** لأسباب ورود الحديث له دورٌ مُؤثِّرٌ في الإفصاح عن مدلول الحديث، وبيان مُراده، ولِتوضيح البيئة غير اللُّغويَّة، فالجانب التَّداوليَّ للُّغة يُجسِّدُ العلاقة بين اللُّغة والمقام، فالعناصر غير اللُّغويَّة (منها: الظروف الخارجيَّة للحدث الكلامي، والمُتكلِّم، والمُخاطَب، والغاية التي يقصدها المُتكلِّم) تُسهم في تحليل الجملة، وتُسهم في تحقيق المعنى التَّداوليّ، ومن ثَمَّ فإنَّ كُلاً من السياق اللُّغويّ والسياق غير اللُّغويّ مُكمِّل للآخر .

الإشاريَّات، أو المُعِينات على توضيح مُراد المُتكلِّم التي تكمنُ في الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)، وهي الإشاريَّات الشَّخصيَّة**، حيث إنَّ الموقف التواصلي– في جملة الإنشاء الاستفهامية– بين المُتكلِّم والمُخاطَب، يعتمد على السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ ؛ حيث نلاحظ إنَّ المُخاطَب في ضمير الخطاب المتصل في **(لكم)** ، وهو عنصر إشاري شخصي، ولا يُعرف مرجعه من السِّياق اللغوي للحديث، ولكنَّ السِّياق الخارجي للحدث الكلامي يُفسِّر هذا العنصر الإشاري، وأيضًا واو الجماعة الضمير المتصل في **(تَصَّدَّقُونَ)**، وهو عنصر إشاري شخصي، ولا يُعرف مرجعه من السِّياق اللغوي للحديث، ومن خلال تحليل السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ للحدث الكلامي، نلاحظ أنَّ

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (٣٣١/٢: ٣٥٠) .

المُخاطَب هم (فقراء المهاجرين)، **والإحالة في العنصرين الإشاريين السابقين خارجيَّةٌ**؛ لأنَّ المُحال عليه يُفهم من السياق الخارجيّ التَّداوليّ، وعليه، نقول: إنَّ مرجع الضمائر– وهي عناصر إشارية شخصية– تعتمد في تفسيرها ــ غالبًا ـ على السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ .

وعليه، نقول: إنَّ الإشاريَّات هي كشفُ معنى اللُّغة التي لا يمكن معرفتها إلاَّ بمعرفة أحوال اللُّغة؛ لأنَّها تتأثَّر بسياق الكلام الذي أشارَ إليه المُتكلِّم، فمنها نعرفُ مقاصد الكلام الذي تكلَّمَ به المُتكلِّم، ولا يُعرف مقاصدها إلاَّ بتفسير مراجعها مع رِعاية سياق الكلام.

الافتراض المُسبق في الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة يتمُّ على افتراض وجود أساس سابق لدى المُخاطَب يعتمدُ عليه المُتكلِّم في بناء خِطابه، وينطلق منه المُخاطَب للوصول إلى غاية المُتكلِّم من خلال السِّياق اللغويّ، وذلك باستخدام المُتكلِّم (رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) **الجملة** الإنشائية الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)** التي تُفيد بأنَّ الصدقة من الأمور التي تقرِّب إلى الله تعالى، وهي لا تنحصر في المال الذي يقدر عليه الغَني فقط، بل تشمل جميع أنواع فعل المعروف التي تُناسب الفقير والغَني معًا، واستخدام المُتكلِّم لفظة **(تَصَّدَّقُونَ)** التي تتضمَّن افتراضًا مُسبقًا بأنَّ المُخاطَب (المهاجرين) كان منهم أُناسٌ فقراء لا يستطيعون أن يتصدَّقوا بالمال، فأصبح يتيمًا، **ويُضافُ إلى هذا الافتراض** بيان ما بداخل المُتكلِّم من إحساس و علمٍ بحال المُخاطَب، وهذا المعنى للافتراض المُسبق نوعه واقعي؛ لأنَّ الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة التي قالها المُتكلِّم للمُخاطَب واقعيَّةً ومُستمرَّةً، **وعليه، نقول:** إنَّ الافتراض المُسبق يقوم على التَّعاون بين كلٍّ من المُتكلِّم والمُخاطَب، وهذا إنَّما يقوم على معلومات سابقة بين الطرفين، وعندما يأتي مُتلقٍّ(سامع) آخر يفكُّ شفرات الجملة الإنشائية الاستفهامية على أساس افتراضات سابقة بينَه وبين المُتكلِّم .

ويُعَدُّ الاستلزام الحِواريّ الذي توصَّل إليه بول جرايس، وأقامه على وُجُوب تَعاوُن المُخاطَبينَ من أهمِّ المجالات التَّداوليَّة، ويظهر هذا الاستلزام من خلال تَوافر جُمل أو تَراكيب لُغويَّة تَدلُّ على دَلالة تُخالفُ محتواها القَضَويّ في بعض الاستعمالات أو المَقامات، وتَحملُ دلالات تَختلفُ عن دلالاتها الحَرفيَّة أو الظَّاهرة من مُكوِّناتها التَّركيبيَّة، وهذا الاستلزام ينبع منطقيًّا ممَّا قِيل في الكلام، ويتجاوز المُخاطَب فيه المعنى الصريح لكلام المُتكلِّم إلى معنى آخر مُضمَر (غير مباشر أو غير حرفيّ) .

وعند النظر في الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)، نجد أنَّ الجملة تحتوي على معنيين اثنيين، وهما:**

الأول: المعنى الصريح المباشر الذي يدلُّ على السؤال المنفي، والمُؤشَّر لها بالهمزة (أ) أداة استفهام، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: عللَّ رسول الله بالاستفهام للمُخاطَب: أَيتصدقون وليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟، فذكر لهم أنَّ الصدقة لا تقتصر على الصدقة بالمال – كما ذكرت آنفًا – .

والثاني: المعنى الضمِّنيّ المُستلزم الحواريّ، وهي القُوَّة الإنجازيَّة غير المباشرة، وهي دلالة مستلزمة مقاميًّا، وهو هنا الهمزة للاستفهام الإنكاري للمُخاطَبين (فقراء المهاجرين) وإقناعهم وطمأنت قلوبهم، والمعنى: عدم قدرة فقراء المهاجرين على الصدقة بالمال، فجاء الجواب الشافي المطمئن للقلوب من المُتكلِّم رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – في الجملة الاستفهامية **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)**، وهي أنَّ الصدقة لا تنحصر في المال فقط، بل تشمل جميع أنواع المعروف .

وعليه، يمكن أنْ نُحلِّل الاستلزام الحُواري تداوليًّا وفْقَ الشَّكل التالي:

(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)

المعنى الحَرفيُّ(الظاهر)	**المعنى المُستلزم(الضمني)**
عدم قدرة الفقراء على الصدقة بالمال،	الاستفهام للتقرير الإنكاري من المُخاطَبين

أي: أَيتصدقون الأغنياء وليس قد جعل (**فقراء المهاجرين**)، وإقناعهم وطمأنت **الله** لكم ما تتصدَّقون به ؟ قلوبهم بأنَّ الصدقة لا تنحصر في المال فقط.

الفعل الكلامي في الجملة الإنشائية الاستفهاميَّة (**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟**)، **يشتمل على التالي:**

(أ) ـ فعل القول (الكلامي): يُعَدُّ التَّركيب الاستفهاميُّ السَّابق فِعلَ القول، ولا يمكن الاعتماد عليه في توضيح أبعاده، واستخدمه المُتكلِّم ليقنع ويطمئن قلوب المُخاطبين، وتعليل الإنكار الذي يتضمَّنه الاستفهام .

(ب) ـ الفِعلُ القَضَويُّ: وهو ما يشتمل على قضيَّة تظهر من معنى الجملة الحرفيّ (الصريح) لا من ما يقصدُهُ المُتكلِّم من الجملة بمكوِّناتها، ويتشكَّلُ من:

١ ــ فعل الإحالة: حيث نلاحظ إنَّ المتكلِّم رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – يُحيلُ على المُخاطَبين (فقراء المهاجرين)، وذلك عن طريق الإشارة إليهم بضمير المُخاطَب المُتصل، وهو كاف الخِطاب في قوله: (**لكم**)، والضمير المتصل واو الجماعة في قوله: (**تَصَّدَّقُونَ**) .

٢ ـ فعل الإسناد (المحمول): ويتمثَّلُ في التركيب الاستفهاميّ المنفيّ، المُكوَّن من محمول الفعل الماضي الناقص الناسخ الجامد (**ليس**)، وهو من أخوات " كان "، فيرفع الاسم وينصب الخبر، ويشتمل هذا الفعل على **مُسند** (اسم " ليس " محذوف تقديره: الأمر أو الشأن)، **ومُسند إليه** (جملة " قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ " **في محلِّ نصب خبر ليس**)، وهو الخبر والفائدة .

٣ ـ فعل دلاليّ: تَكمنُ القَضيَّة التي تَتَبدَّى من دلالة الجملة الاستفهاميَّة الحرفيَّة في أنَّ المُتكلِّم(رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) وَجَّه سُؤالاً إلى **المُخاطَبين**، والمعنى الظاهر – كما ذكرتُ آنفًا – : عدم قدرة فقراء من أصحاب رسول الله على الصدقة بالمال؛ حيث إنَّهم لا يملكون المال ليتصدقوا به، ورأوا أصحابهم وإخوانهم من ذوي الثراء والغِنى يسارعون إلى إنفاق المال بجود، وعللَّ رسول الله بالاستفهام: أَيتصدقون وليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟، فذكر لهم أنَّ الصدقة لا تقتصر على الصدقة بالمال فقط، بل تشمل جميع أنواع المعروف .

وهذا الفِعلُ القَضَويُّ من زيادات جون سيرل على الرُّغْم من أنَّ المُراد منه يَدور في فلكِ المُراد من الفِعل اللَّفظيّ عند أُوستن من حيثُ إنَّه يعتمدُ عليه وُجُوبًا للوصُول إلى الفِعل الإنجازيّ الذي يَقصدُه المُتكلِّم .

(ج) ـ فعل الإنجاز(المُتضمِّن في القول أو الغَرضيّ): ما يَكمنُ في ذِهنِ المُتكلِّم من غَرَض أو مَقصد يرغَبُ في أنْ يَتبيَّنَه المُخاطَب، ولا بُدَّ في الفعل الإنجازيّ من توضيح المُخاطَب أو المُتلقِّي لِقَصْدِ المُتكلِّم، ويتمثَّلُ في انطواء **الجملة** الإنشائية الاستفهاميَّة **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟)** على قُوى إنجازيَّة، وتتمثَّلُ في:

١- **قُـوَّة إنجازيَّـة حرفيَّة(مباشـرة):** وهـي جملـة الاستفهام المَنفـيّ السَّـابقة، وإنّ السُؤال باستعمال **(أَوَلَـيْسَ)** يُشيرُ ظـاهره إلـى أنَّـه سُؤال تَكمنُ الإجابـة المُباشرة عنـه إمَّا بالإيجاب باستعمال (بَلَى)، وإمَّا بالنَّفي باستعمال (نَعَمْ)، وهي إجابة مباشرة أو حرفيَّة أو تحمل قُوَّةً إنجازيَّة حرفيَّة، وقد استغنى المُتكلِّم بهمزة الاستفهام عن الفِعل اللُّغويّ (أَستفهمُ)، وهو استغناء يُشيرُ إلى عدم الرَّغبة في تطويل التَّركيب اللُّغويّ فضلاً عمَّا يُمكن أنْ يُحقِّقه هذا الحرف من قُوَّةٍ إنجازيَّة، وما تترُكُه هذه القُوَّة من أثرٍ في المُخاطَب.

٢ - **قُوَّة إنجازيَّة مُستلزمة(غير مباشرة):** وهي ما جاءتْ على صورة الاستفهام التقريريّ، على أنَّ المُرادَ منه التقرير الإنكاري، وإقناع وطمأنَت قلوب المُخاطبين (فقراء المهاجرين)، ولِهذا يمكنُ أنْ نُعدَّ الفعل القولي **(أَوَلَيْسَ)** من أصناف الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة، **وغرضه الإنجازيّ التَّداوليّ بلغة جون سيرل ضمن صِنف " التَّوجيهيَّات " عِندَه،** أي أنَّ الغَرَض الإنجازيّ من الفعل الكلاميّ **(أَوَلَيْسَ)** هو الإنكار، " والاستفهام المستعمل في الإنكار، يُراد منه النفي، مع الإنكار على المثْبِتِ كيف أثبت ما هو ظاهر النفي، وكان الواجب عليه أن ينفي، أو مع الإنكار على المُخاطَب قضيَّته، وهي باطلةٌ في تصوُّر مُوجِّه الاستفهام"[١]، أو هو التَّقرير الإنكاري؛ لأنَّه يتولَّد عن الاستفهام معانٍ نحويَّة أبرزها التقرير، وهو " حملُك المُخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عندَه "[٢]، ومَنْ بَدا عليه أماراتُ إنكار أمرٍ وقع،

(١) انظر: البلاغة العربية، عبدالرحمن حَبَنَّكه، (٢٧١/١) .
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيّ، (٣٣١/٢) .

قد توجّه له استفهامًا تقريريًا، قائلاً: أَلَمْ يحدث كذا؟ لِتنتزِعَ منه الإقرار والاعتراف بالأمر الذي قد حدث ووقع فعلاً[١].

وذكر مسعود صحراوي " فإنَّما هذه (**أغراض**) بتعبير علمائنا القُدامى، أو (**وظائف تواصليَّة إبلاغيَّة**) بتعبير الوظيفيين المعاصرين، أو (**أفعال مُتضمِّنة في القول**) **بتعبير التَّداوليين** " [٢]، وهذا الفعل الإنجازيّ (**أَوَلَيْسَ**) في السِّياق المقامي التَّداوليّ الذي وردَ فيه لا يُقصدُ به فعل الاستفهام المَنفيّ فقط، وإنَّما أُنجز به فعل **التقرير الإنكاري وإقناع المُخاطبين، الذي يُمثِّلُ لنا فعلاً إنجازيًّا غير مباشر عند جون سيرل**؛ لأنَّ قُوَّته الإنجازيَّة على خِلاف قُوَّته المباشرة أو الحرفيَّة .

إذن الفعل الكلامي (أَوَلَيْسَ) فعِل لُغويّ غير مباشر؛ لأنَّه يحتاجُ إلى تأويل لإظهار القَصد الإنجازيّ، أو المعنى الكامن المُضمَر، وهذا يُؤكِّد ارتباط المعنى النَّحويّ بمقَصد المُتكلِّم، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُعتمدُ فيه على الفعل القولي اللَّفظيّ السَّابق، فكأنَّه تمهيدٌ، وتوطِئةٌ لِهذا الفِعل، إذ لا يمكن أنْ يتحقَّق إلاَّ بالاعتماد على الفِعل اللَّفظيّ، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُتوَصَّل إليه من خلال السِّياقين اللُّغويّ، والخارجيّ التَّداوليّ .

(د) ـ فعل التأثير بالقول: الفِعل الذي يُعَدُّ نتيجةً وأثرًا من آثار الفِعل الإنجازيّ، ويكمنُ أثرُ الفِعل الإنجازيّ للمُخاطَبين (فقراء المهاجرين) في أنَّهم استجابوا إلى هذا الفِعل الإنجازيّ، وهي استجابةٌ تكمنُ في الرِّضا والاقتناع والاطمئنان لِنفسهم بما أخبر به المُتكلِّم(رسول الله– صلى الله عليه وسلَّمَ–) من أنَّ الصدقة من الأمور التي تُقرِّب إلى الله سبحانه وتعالى، وهي لا تنحصر في المال الذي يقدر عليه الغَني فقط، بل تشمل جميع أنواع فعل المعروف والإحسان التي تُناسب الفقير والغَني معًا .

(١) انظر: البلاغة العربية، عبدالرحمن حَبَنَّكه، (٢٧٥/١) .
(٢) انظر: التَّداوليَّة عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (١١٦) .

المبحث الثاني

التحليل التركيبي للجملة الأمريَّة في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي.

الأمر معجم : الأمْرُ: معروف، نقيض النهي، أمَرَه به وأَمَرَهُ، ويأمُرُهُ أمرا، وإماراً فأتمرَ، أي: قَبَلَ أمرَه، فهو بمعنى الحادثة وهو واحد من أمور الناس، فيقال: أمره مستقيم وأموره مستقيمة وجمعه: أمور[١]، **واصطلاح:** اتفق النُّحاة والبلاغيون على أن الأمر هو طلب حصول الفعل[٢]، واتفقوا أيضاً على أن المعنى الذي تدل عليه صيغ الأمر الحقيقي تفيد الوجوب والالتزام[٣]، فأهل البلاغة يرون هذا المعنى مستفاد من كون الطلب مقترناً بالاستعلاء، ولذلك عرفوه بأنه " طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء "[٤]، فالاستعلاء في نظرهم هو الذي جعل الوجوب حقيقة في معنى الأمر، وبهذا اشترطوا الاستعلاء في الأمر احترازا عن الدعاء والالتماس، وأمَّا النُّحاة فإنهم يفهمون الوجوب في الأمر بمجرد دلالته على الطلب حتى أنهم جعلوا تلك الدلالة إحدى علامتي معرفته، وخصصوا لفظ الأمر بهذا المعنى سواءً أكانت الدلالة على الوجوب مستقاة من الاستعلاء، كما هي عند البلاغيين، أم من مجرد الدلالة على الطلب كما هي عند النُّحاة، فإن المراد من ذلك كله، هو أن معنى الأمر للوجوب والالتزام حتى يعرف عنه بقرينة، وما يدل على هذا ما جرت به عادة العرب عندهم ، مثلاً إذا أمر السيد أو المالك عبده بأمر فخالفه، وصفوا ذلك العبد بالعصيان، ولولا أنَّ الأمر للوجوب لَمَا أطلقوا عليه هذا الوصف من العصيان وغيره[٥].

وللأمر أربع صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال، وهذه الصيغ هي: الأمر بصيغة " افعلْ "، والمضارع بلام الطلب " لِيفعلْ "، واسم فعل الأمر " عليكم " بمعنى: الزم، والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو قوله تعالى: (فَضَرْبَ الرِّقابِ) [محمد: ٤] [٦]، ضَرْبَ: مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره: فاضربوا ضرْبَ الرقابِ.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (أمر) .
(٢) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون، (٢٧) .
(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة،لا بن فارس، (١٨٤) .
(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، (١١٦) .
(٥) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، (١٨٤) .
(٦) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون، (١٤) .

يُسمّي النُّحاة صيغة " افْعَلْ " فعل الأمر، وعلامته التي يُعرَف بها عندهم مركَّبة من مجموع أشياء: وهي دلالته على الطلب، وقبوله ياء المخاطبة ونون التوكيد، فلو لم تدلّ الكلمة علىٰ الطلب وقبلت ياء المخاطبة نحو: (تقومين)، أو دلَّت علىٰ الطلب ولم تقبل ياء المخاطبة أو نون التوكيد، نحو: (نزال يا هند) فليست بفعل أمر، فعل الأمر مبني علىٰ السكون؛ لأنَّ الأصل في الأفعال أن تكون مبنيّة، والأصل في البناء أن يكون علىٰ السكون، والوقف قولهم: (اضرب) في الأمر، وكذلك كلّ بناء من الفعل كان معناه افْعَلْ، فأمَّا إذا كان المأمور مخاطباً ففعله مبني وغير مجزوم، وذلك قولك: اذهب وانطلق [١].

الأمر بصيغة " لِيفعلْ "، هذه الصيغة مركَّبة من الفعل المضارع المسبوق بـ (لام) الأمر[٢]، وتُسمّى أيضاً بـ (لام) الطلب والجزم[٣]، وهذه الصيغة تُستَعمل في أمر غير المخاطب، وهي بمنزلة "افْعَلْ" في أمر المخاطب[٤]، وغير المخاطب كأمر المتكلّم لنفسه، نحو: لأذهبْ إليه، ومنه قوله تعالى: (اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ) [العنكبوت: ١٢]، وأمر الغائب، كقوله تعالى: (وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ) [النساء: ١٠٢][٥] .

الأمر باسم الفعل، عُرِّفت أسماء الأفعال بأنَّها أسماء تدلُّ علىٰ معنى الفعل، فأُجريت مجراه من حيث العمل، إلَّا أنَّها لا تقبل علامته[٦]، وقد عقد سيبويه لاسم فعل الأمر باباً تحت عنوان: " هذا باب من الفعل سُمّي الفعلُ فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث "[٧]، وأكثر أسماء الأفعال هي ما كانت بمعنى الأمر[٨] .

(١) انظر: الكتاب، سيبويه، (١٧/١)، والمقتضب، المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، طبعة المجلس الأعلى للشوؤن الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م، (١٣١/٢) .

(٢) انظر: الكتاب، سيبويه، (٨/٣) .

(٣) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمُرادي، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (١١٠) .

(٤) انظر: الكتاب، سيبويه، (١٣٨/١) .

(٥) انظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، الناشر: شركة العاتك، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م، (٦/٤) .

(٦) انظر: المقتضب، للمُبرّد، (٢٠٢/٣)، و شرح المُفصَّل، لابن يعيش، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠١٣م، (٣٨/٤) .

(٧) انظر: الكتاب، سيبويه، (٢٤١/١) .

(٨) انظر:المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م، (١/ ٥٦٩) .

فعل الأمر صيغة تدل على عمل يُطلب إنشاؤه في المُستقبل، وهو مختص بالفاعل المُخاطَب من الفعل المعلوم، ويقول سيبويه: " وأمَّا بناء ما لم يقع فإنَّه قولك آمرا: اذهب واقتل واضرب"(١)، وإنَّما جيء " الأمر من الفعل المستقبل؛ لأنَّك إنَّما تأمره بما لم يقع "(٢)؛ والسبب الذي جعل العلماء القُدامى يقولون بأنَّ فعل الأمر ينصرف زمنه إلى الاستقبال؛ لأنَّ الأمر يقوم على مرحلتين: مرحلة التلفُّظ بالأمر، ومرحلة استجابة المأمور، ففي حين يكون زمن التلفُّظ هو الحال، فإنَّ زمن تحقيق الفعل المأمور هو الاستقبال، ففعل الأمر عند القُدامى المستقبل إلاَّ أنَّه عند بعض المُحدثين الحال أو الاستقبال(٣).

ويدل فعل الأمر في حقيقته على طلب القيام بفعل أو تركه عقب التلفُّظ به مباشرة أو بعد زمن قريب أو بعيد، والدلالة هي التي توضح فيما إذا كان القيام بالفعل أو تركه، وأنَّ هناك أوامر تخرج عن معناها الأصلي، وهو الإيجاب والالتزام إلى معانٍ أخر على سبيل المجاز تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال(٤).

وعليه، فمفهوم جملة الأمر: هي نمط تركيبي من الجُمل الإنشائية الطلبية، فهي طلب حدوث شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب على سبيل الإلزام، ويظل معناها في الأصل اللُّغويّ ثابتًا، وقد تخرج عن هذا الأصل، فتكون مجازيَّةً لا تشترط منزلة الاستعلاء بين المُتكلِّم والمُخاطَب، وبذلك كثرت أغراضها، ويُرشد إليها السِّياق وقرائن الأحوال.

ورد الأمر في ثمانية عشر حديثًا من الأحاديث الأربعين، وفي ثمان وعشرين جملةً أمريَّةً(٥)، واشتملت الجُمل الأمريَّة في الأحاديث على معانٍ وأغراض بلاغيَّة مختلفة، مثل: التشويق أو النصح

(١) انظر: الكتاب، سيبويه، (١٢/١) .

(٢) انظر: المقتضب، المبرّد، (٢٢١/١) .

(٣) انظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨م، (١٧٠)، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، ١٩٩٤م، (٢٥٠) .

(٤) انظر: البلاغة والتطبيق، تأليف: أحمد مطلوب، وحسن البصير، طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط٢، ١٩٩٩م، (١٢٤) .

(٥) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، ح رقم: ٢، (٥)، ح رقم: ٢، (٥)، ح رقم: ٢، (٥)، ح رقم: ٢، (٥)، ح رقم: ٩، (٩)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ١١، (١٠)، ح رقم: ١٥، (١١)، ح رقم: ١٥، (١٢)، ح رقم: ١٦، (١٢)، ح رقم: ١٧، (١٢)، ح رقم: ١٨، (١٣)، ح رقم: ١٩، (١٣)، ح رقم: ٢٠، (١٤)، ح رقم: ٢١، (١٤)، ح رقم: ٢١، (١٤)، ح

والإرشاد أو الإلتماس أو التهديد، وقد استخدم المُتكلِّم بعضًا من صيغ الأمر، مثل: " افعلْ، ولِيفعلْ "، ومن الأمثِّلة التطبيقيَّة ما يلي :

ـ عَنْ أَبي ذَرٍّ جُندب بن جُنَادة، وأبي عبد الرحمن مُعاذِ بن جَبَلٍ – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: « اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتْبعِ السيئة الحسنة تَمحُها، وخالِقِ الناس بخُلُقٍ حسنٍ »؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن [١].

يتمثَّلُ السِّياق الدَّاخليّ للحدث اللغويّ لجملة الإنشاء الأمريَّة في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التَّركيب، فالبناءُ التَّركيبيُّ الشَّكليُّ لِجملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)**، فإذا تأملنا هذه الجملة الإنشائية الأمريَّة نجد أنَّ هناك تقديم وتأخير، وقد كان لهذا التقديم والتأخير أثر في المعنى، إذ نجد في إعرابها: " **اتق** ": فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الياء، وقد دلت كسرة القاف على الحرف المحذوف، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: أنت، دلَّ عليه ما يتضمَّنه فعل الأمر من خطاب، " **الله** ": لفظ الجلالة، مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، " **حيثما** ": أداة شرط جازمة تفيد المكان، " **كنت** ": كان فعل ماضٍ ناقص، التاء ضمير متكلم مبني على الضم في محل رفع اسم كان، والجملة في محل جزم اسم الشرط، وجوابه محذوف أو مُقدَّم د لَّ عليه ما قبله، أي تقدير الكلام: "حيثما كنت فاتق الله"[٢]، وقدَّم فعل الأمر "اتقِ" للفت الانتباه والاهتمام والتأكيد، كلُّ هذه القرائن ساهمت في وضوح السِّياق اللُّغويّ.

والمعنى الدلالي لجملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)**، هو ما قاله شُرَّاح الحديث: هذا الحديث اشتمل بجُمله الإنشائية الأمريَّة الثلاث **(اتَّقِ، وأتْبعِ...، وخالِقِ...)** على ما هو مطلوب من المسلم لربِّه ولِنفسه ولِغيره، **اتقِ الله تعالى في الخلوة كما تتقيه في الجلوة بحضرة الناس، واتقِه في سائر الأمكنة والأزمنة (هذا حقُّ الله تعالى)**، وعندما يفعل المرء سيِّئةً، فإنَّه يتوب ويستغفر الله تعالى منها، ويفعل بعدها حسنةً تمحُها (وهذا هو حقُّ الإنسان، وهو المغفرة)، ومطلوب من الإنسان أنْ

رقم: ٢٤، (١٦)، ح رقم: ٢٤، (١٧)، ح رقم: ٢٨، (١٩)، ح رقم: ٢٩، (٢٠)، ح رقم: ٢٩، (٢١)، ح رقم: ٣١، (٢٢)، ح رقم: ٣١، (٢٢)، ح رقم: ٣٤، (٢٣)، ح رقم: ٣٥، (٢٤)، ح رقم: ٤٠، (٢٧)، ح رقم: ٤٠، (٢٧) .

(١) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، ح رقم: ١٨، (١٣).

(٢) انظر: إعراب الأربعين حديثا النووية، حسني عبد الجليل، (١٢٠- ١٢١) .

يُعامل الناس جميعًا معاملة حسنة، فالخُلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وإلى كف الأذى عنهم (وهذا هو حقُّ الغَير، وهو معاشرتهم بالأخلاق الحسنة) [١].

ويتمثَّل السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ (غير اللُّغويّ) للحدث الكلاميّ للحديث في السِّياق المقاميّ(أي: الجو الخارجي الذي يُحيط بالكلام من ظروف وملابسات، وهو البيئة غير اللغويَّة التي تُحيط بالحدث الكلامي وتُبيِّن وتُؤثِّر في معناه)، **وهذا يتمثّل في أسباب ورود الحديث:** هذه الوصية من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي ذَرٍّ ومُعاذ – رضي الله عنهما –، وردت من طرق عِدَّة وبمناسبات مختلفة، منها:

(أ) ـ سببه: كما في الصحيحين، من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ أبا ذَرٍّ الغفاري – رضى الله عنه – لمَّا أسلم بمكة قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – : " الحق بقومك رجاء أن ينفعهم الله بك"، فلمَّا رأى حرصه على المقام معه بمكة، وعلم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدر على ذلك، قال له: " اتق الله حيثما كنت. . . " الحديث، فإنه أولى لك من الإقامة بمكة.

(ب) ـ ما أخرج ابن عبد البرِّ (في التمهيد): عن أنس – رضي الله عنه – قال: بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – مُعاذًا إلى اليمن، فقال: " يا مُعاذ، اتق الله، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئةً فأتبعها حسنة "، وقد رُويت وصيَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – لِمُعاذ من حديث ابن عمر، وغيره بسياقٍ مُطوَّل من وجوه فيها ضعف [٢].

وعليه، فالخِطاب في جملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)** يشمل جميع المسلمين؛ **لأنَّ** هذا أمر عام، لا يختصُّ به مُخاطَب دون مُخاطَب .

وتكمنُ قصديَّة المُتكلِّم (رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) في أنْ يتبيَّنَ المُخاطَب **(جميع المسلمين)** ما يرغبُ المُتكلِّم في أنْ يُوصِلَ إليه من معانٍ، **فالقصديَّة** في جملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله**

(١) انظر: شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويَّة، للنوويّ، نشر: مكتبة دار الفتح، دمشق، ط٤، ١٩٨٤م، (٥٨: ٦٠)، وشرح الأربعين حديثًا النوويَّة، لابن دقيق العيد، (٥٣)، والتعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفيّ، (١٥٣-١٥٤)، والوافي في شرح الأربعين النووية، (١٢٢) .

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٣٧٧-٣٧٨)، وشرح الأربعين حديثًا النوويَّة، لابن دقيق العيد، (٥٣)، والبيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الدمشقي، (٦٥/١)، والوافي في شرح الأربعين النووية، (١٢٢) .

حيثما كنت) هي: **النصح والإرشاد، وهو:** الطلب الذي لا تكليف فيه ولا إلزام، وإنَّما طلب يحمل بين طيَّاته معنى النصيحة الخالصة والموعظة والإرشاد[١]، ففي هذا الحديث جاء كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – على صيغة يطلب بها الفعل على وجه الاستعلاء، وهذا هو الأمر الحقيقي لكنه يخرج عن معناه الأصلي، فيكون الأمر مجازيًّا لا يشترط منزلة " الاستعلاء " بين المُتكلِّم والمُخاطَب، ويُرشد السِّياق غير اللُّغوي إلى أنَّ القصديَّة هنا: النُّصح والإرشاد .

وعليه، نقول: إنَّ من أهمِّ أهداف الدِراسة التَّداوليَّة، عدم الاعتماد على المعنى الحرفيّ لمعرفة مقاصد المُتكلِّم، أي: دِراسة المعنى الذي يرمي إليه المُتكلِّم من خلال ما يقول.

الإشاريَّات الشخصيَّة في جملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)**، تتمثَّل أوَّلاً في ضمير المُخاطَب المُستتر في فعل الأمر " اتقِ "، وتقديره: أنتَ، وموقعه الإعرابي: فاعل الفعل، وهو عنصر إشاري شخصيّ، و يُعرف مَرجعه من السِّياق اللُّغويّ في الحديث، وهو: أبو ذَرٍّ، أو مُعاذ (وهذا أمر خاص)، أو جميع المسلمين (وهذا أمر عام)، ونفس الإحالة ثانيًا في الضمير المتصل في الفعل " كنتَ "، **والإحالة فيهما داخليَّة؛ لأنَّ** المُحال عليه يُفهم ويُعرف مَرجعه من السِّياق اللُّغويّ في الحديث.

الافتراض المُسبق في صياغته يكون وليد السِّياق اللغويّ الذي جاءت فيه جملة الإنشاء الأمريَّة، فالمُتكلِّم(رسول الله – صلى الله عليه وسلَّمَ –) في هذا الحديث استخدم فعل الأمر (اتقِ، وأتبع، وخالقْ) الذي يُفيد النُّصح والإرشاد للمُخاطَب (جميع المسلمين)، فالمعنى الذي يحمله الافتراض المُسبق في جُمل فعل الأمر (اتقِ، وأتبع، وخالقْ)، هو: وجود الله الخالق القادر، ووجود حسنات وسيئات في الحياة الدنيا، ووجود أخلاق حسنة وسيئة في تعاملات الناس، وهذا المعنى للافتراض المُسبق **نوعه واقعي؛** لأنَّ هذا الحديث الذي قاله المُتكلِّم للمُخاطَب واقعيّةً، ويدلُّ على النصيحة الخالصة من قِبلِ المُتكلِّم للمُخاطَب بهذا الحديث .

ويظهرُ الاستلزام الحواري لجملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)** في أنَّ هذه الجملة تحتوي على معنيين اثنين، **الأوَّل: المعنى الصريح المباشر الظاهر: المُتمثِّل في صيغة الأمر**" اتَّقِ " حيث اتَّفقَ جُلَّ علماء اللغة(النُّحاة والبلاغيين) على أنَّ للأمر صيغ مُحدَّدة لها دلالات مُحدَّدة تصدر من مُتكلِّم إلى

(١) انظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، (٢٥).

مُخاطَب على وجه الاستعلاء، **فيُعرِّفه السَّكَّاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله:** " والأمر في لغة العرب عِبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو: لِينزلْ، وانْزلْ، ونِزالٍ، وصَهْ على سبيل الاستعلاء" [١]، **وأضافَ الخَطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، فقال:** " والأظهر أنَّ صِيغته من المُقترِنَة باللام نحو: ليحضر زيدٌ، وغيرها نحو: أكرمْ عمرًا، ورُوَيْدَ بكرًا، موضوعةٌ لِطلب الفعل استعلاءً، لتبادر الذِّهن عند سماعها – صِيغة الأمر – إلى ذلك، وتوقف ما سواه على القرينة."[٢]

فالنَّصَّان السَّابقان يُشيران إلى: أوَّلاً: صِيغة أداء فعل الأمر – كما ذكر –، وهي تُمثِّل الأدوات الإنجازيَّة للأمر، **وثانيًا: إلى** عَلاقة المُتكلِّم بالمُتلقِّي، والتي تتحكَّم ببنية النَّصِّ الداخليَّة، والتي تفرض على المُتكلِّم مجموعة من الاستراتيجيات التي تتوافق وحال المُتلقِّي، وما بين المُتكلِّم والمُتلقِّي من علاقة اجتماعيَّة، فإنْ كان الأمر: طلب حصول شيء على طريق الاستعلاء، فإنَّ هذا القيد لا يفرض على المُتكلِّم الالتزام به في إنشاء خِطابه، إذ لا بُدَّ أنْ تتواكب الصيغة اللُّغويَّة، وتقترن بقرائن سياقيَّة تخدم هدف المُتكلِّم، وإلاَّ خرج الأمر عن معناه، فليستْ المسألة لُغويَّة بحته، بلْ لُغويَّة تداوليَّة إذ ليس الموضوع اللُّغوي فقط هو المعيار الأوحد في تحديد دلالة التَّركيب فقط، بلْ لا بُدَّ أنْ تُعضدّه قرائن سياقيَّة كمرتبة المُتكلِّم والمُتلقِّي؛ فهي التي تُحوِّل دلالة الصيغة من الأمر إلى غير ذلك بحسب مناسبة المقام.

وقد يُظنُّ أنَّ صيغ الأمر أعلاه تُبيِّن الفرق بين الصيغة اللُّغويَّة التي يحدث بها المعنى، والمعنى الحاصل منها، أو المعنى المُنجز بها، فقد سُمِّي اللفظ المأمور به أمرًا، مع أنَّه ليس بأمر، بلْ هو آلة الأمر، **أي أنَّ " الأمر** كما يُطلق على الصيِّغة نفسها، كذلك يُطلق على التَّكلُّم بالصيِّغة، وطلب الفعل على سبيل الاستعلاء" [٣].

وبهذا يبدو أنَّ صيغة الفعل(اتَّقِ) هي: فعل الأمر، والمُؤشَّر لها بـ" افعل "، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: اتقِ الله تعالى في الظاهر والباطن، وفي سائر الأمكنة والأزمنة، **والثاني: المعنى الضمني المُستلزم الحواري:** وهي قُوَّةٌ إنجازيَّةٌ غير مباشرة، وهي دلالةٌ مُستلزمةٌ مقاميًّا، حيث احتوى تركيب جملة

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسَّكَّاكيّ، (٤٢٨) .
(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القَزويني، (١١٦) .
(٣) انظر: كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التَّهَانَويّ، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، (٢٦٥/١) .

فعل الأمر الإنشائيَّة على قُوَّةٍ إنجازيَّة تمثَّلتْ في صِيغة فعل الأمر(اتَّقِ) الذي خرج عن أصل وضعه وهو الأمر بحسب القرائن السباقيَّة لأحوال المُخاطَب(جميع المسلمين) **إلى النُّصح والإرشاد**، فالجملة السَّابقة حملتْ قُوَّةً إنجازيَّةً مقاميَّة غير الأمر، وهي النصيحة الخالصة والإرشاد لجميع المسلمين، أي أنَّ هذه الجملة جاءتْ على خلاف مُقتضى الظاهر ترتبط بقرائن سياقيَّة تفرض على المُؤوِّل أنْ يعتمد مقام مبناها؛ لِيفهم معنى المعنى(الاستلزام الحواري التَّداوليّ)، وبذلك يكون النُّصح والإرشاد مُساندًا للقصد الذي يبتغيه المُتكلِّم من خلال خروج المعنى عن البنية السَّطحيَّة للجملة إلى بنية أعمق ارتبطتْ بمقام الكلام في الحديث، أي أنَّ " الأمر قد يخرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، للدلالة على معانٍ أُخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السِّياق وقرائن الأحوال " [١].

وعليه، نقول: إنَّ القُوَّةَ الإنجازيَّة هي المُعبَّر عنها في الجملة في حين أنَّ القُوَّةَ الإنجازيَّة المُستلزمة الحوارية هي ما تستلزمه الجملة في مقام ما.

وبهذا يبدو أنَّ الطلب باستعمال صيغة الأمر ليس تابعًا للتَّركيب اللُّغويّ فقط، وإنَّما يعتمد على قرائن سياقيَّة تداوليَّة فحواها النَّظر إلى حال المُتكلِّم أو منزلته مقارنًا مع المُخاطَب، **وقال جبر ضومط:** " إنَّ كُلَّ كلامٍ لا بُدَّ فيه من حامل للمُتكلِّم عليه، والحامل على الكلام الخبري إفادة المُخاطَب بمضمونه، وعلى الطلبيّ كون المطلوب مقصود المُتكلِّم إمَّا لِذاته أو لِغيره " [٢].

وبناءً على ما سَبَقَ، يمكن أنْ نُحلِّل الاستلزام الحُواري تداوليًّا وفْقَ الشَّكل التالي:

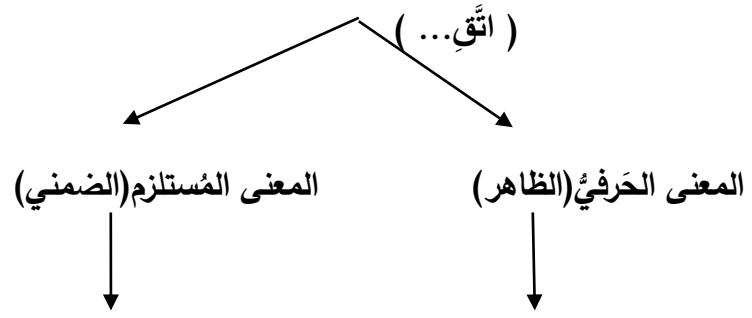

(١) انظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (٧٧) .

(٢) انظر: الخواطر الحسان في المعاني والبيان، جبر ضومط، طبعت بمطبعة التأليف(الهلال) بالفجالة بمصر سنة: ١٨٩٦م، (٢٣٢) .

اتقِ الله تعالى في الظاهر والباطن، **قصديَّة المُتكلِّم** (النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم –)
وفي سائر الأمكنة والأزمنة . النُّصح والإرشاد للمُخاطَب (جميع المسلمين) .

الفعل الكلامي في جملة الإنشاء الأمريَّة (اتَّقِ الله حيثما كنت)، يشتمل على التالي:

(أ) ــ فعل القول (الكلامي): يُنتجه المُتكلِّم بمجرَّد تلفظه بالجملة، وتُعدُّ صيغة الأمر (اتَّقِ) فِعلَ القول، وهي مُكوَّنة من أصوات لُغويَّة ينتظمها تركيب نَحويّ صحيح ينتج عنها معنى مُحدَّد هو المعنى الحرفيّ أو الأصليّ المفهوم من التَّركيب، ولها مَرجع يُحيلُ إليها – كما ذكرتُ آنفًا–، ولا يمكن الاعتماد عليها في توضيح أبعادها.

(ب) ـ الفِعلُ القَضَويُّ: وهو ما يشتمل على قضيَّة تظهر من معنى الجملة الحرفيّ (الصريح) لا من ما يقصدُهُ المُتكلِّم من الجملة بمكوِّناتها، ويتشكَّلُ من:

١ ـ فعل الإحالة: حيث نلاحظ إنَّ المُتكلِّم (النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم –) يُحيلُ على المُخاطَب في جملة الإنشاء الأمريَّة، **وهم:** أبو ذَرٍّ، أو مُعاذ (وهذا أمر خاص)، أو جميع المسلمين (وهذا أمر عام)، وذلك عن طريق الإشارة إليهم بضمير المُخاطَب المُستتر، وتقديره: اتَّقِ " أنتَ "، وضمير المُخاطَب المتصل في " كنتَ " .

٢. فعل الإسناد (المحمول): ويتمثَّلُ في صِيغة الأمر، المُكوَّنة من محمول فعل الأمر (اتَّقِ)، وهو فعل مُتعدٍّ، ويشتمل هذا الفعل على **مُسند** (فاعل الفعل ضمير مخاطَب مستتر)، **ومُسند إليه** (لفظ الجلالة الله تعالى "مفعول به")، وهو الخبر والفائدة .

٣ ـ فعل دلاليّ: تَكمنُ القَضيَّة التي تَتَبدَّى من دلالة جملة الإنشاء الأمريَّة الحرفيَّة، فالمعنى الظاهر الصريح كما قاله شُرَّاحُ الحديث – كما ذكرتُ آنفًا– : أمرٌ من رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – لجميع المسلمين: اتقِ الله تعالى في الخلوة كما تتقيه في الجلوة بحضرة الناس، واتقِه في سائر الأمكنة والأزمنة .

وهذا الفِعلُ القَضَويُّ من زيادات جون سيرل على الرُّغْم من أنَّ المُراد منه يَدور في فلكِ المُراد من الفِعل اللَّفظيّ عند أُوستن من حيثُ إنَّه يعتمدُ عليه وُجُوبًا للوصُول إلى الفِعل الإنجازيّ الذي يَقصدُه المُتكلِّم(النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم –) .

(ج) ـ فعل الإنجاز(المُتضمِّن في القول أو الغَرضيّ): ما يَكمنُ في ذِهنِ المُتكلِّم من غَرَض أو مَقصد يرغَبُ في أنْ يَتبيَّنَه المُخاطَب، ولا بُدَّ في الفعل الإنجازيّ من توضيح المُخاطَب أو المُتلقِّي لِقَصْدِ المُتكلِّم، ويتمثَّلُ في انطواء جملة الإنشاء الأمريَّة **(اتَّقِ الله حيثما كنت)**، على قُوى إنجازيَّة، وتتمثَّلُ في:

١ـ قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة(مباشرة): هي: فعل الأمر، والمُؤشَّر لها بـ" افعل "، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: اتقِ الله تعالى في الظاهر والباطن، وفي سائر الأمكنة والأزمنة، فالمعنى المُباشر ظاهرٌ حقيقيٌّ أصليٌّ منطوقٌ مُتعلّقٌ ببناء جملة الإنشاء الأمريَّة .

٢ـ قُوَّة إنجازيَّة مُستلزمة(غير مباشرة): ويُصاحِبُ قُوَّةَ صِيغة فعل الأمر الإنجازيَّة الحرفيَّة فعلٌ تَعبيريٌّ آخر يُشيرُ إلى هَدَف أو قَصْدِ المُتكلِّم من هذه الصِيغة، ويرغَبُ المُتكلِّم في أنْ يتبيَّنَهُ المُخاطَب، **وهذا الغَرَض أو المَقصَدُ من الأمر هو النُّصح والإرشاد للمُخاطَب**(جميع المسلمين)، **ولِهذا** يمكنُ أنْ نُعدَّ الفعل القولي (اتَّقِ) من أصناف الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة، **وغرضه الإنجازيّ التَّداوليّ بلغة جون سيرل يندرج ضمن صِنف " التَّوجيهيَّات أو الأمريَّات "، ويتمثَّلُ** في محاولة المُتكلِّم توجيه المُخاطَب للقِيام بأمرٍ ما، أي أنَّ الغَرَض الإنجازيّ من الفعل الكلاميّ (اتَّقِ) هو النُّصح والإرشاد، وهذا الفعل الإنجازيّ **في السِّياق المقاميّ التَّداوليّ** الذي وردَ فيه لا يُقصدُ به فعل الأمر فقط، وإنَّما أُنجز به فعل **النُّصح والإرشاد، الذي يُمثِّلُ لنا فعلاً إنجازيًّا غيرَ مباشرٍ عند جون سيرل**، وهو فعل لا تدلُّ عليه صِيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسِّياق وقرائن الأحوال دخل في تحديده والتوجيه إليه، أي أنَّ المعنى غير المُباشر يُمثِّلُ غَرض ومَقصد المُتكلِّم، وهو غَرض لا يتوقَّف عند دلالة اللَّفظ، ولكنَّه يجمع بينه وبين المعنى المقاميّ، وهو معنى خروج عن مُقتضى الظاهر، مفهوم من اللَّفظ، ومن فَحوَى الجملة؛ لأنَّ قُوَّته الإنجازيَّة على خِلاف مُراد المُتكلِّم، أو على خِلاف قُوَّته المباشرة أو الحرفيَّة، **ولِهذا يقول الجُرجانيُّ(ت٤٧١هـ):** " الكَلامُ على ضَرْبين: ضَرْبٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرض بدلالة اللَّفظ وحدَه، وذلك إذا قَصَدْتَ أنْ تُخبر عن " زيدٍ " مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلتَ: " خرج زيدٌ "، وبالانطلاق عن " عمرو "، فقلتَ: " عمروٌ منطلقٌ "،

وعلى هذا القِياس، **وضَرْبٌ آخرُ أنتَ** لا تَصِلُ منه إلى الغَرض بدلالة اللَّفظ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللَّفظُ على معناه، الذي يَقتضيه موضُوعُه في اللُّغة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض " [١].

إذن إنَّ صِيغة الأمر(اتَّقِ) فعِلٌ لُغويٌّ غيرُ مباشرٍ؛ لأنَّه يحتاجُ إلى تأويل لإظهار القَصد الإنجازيّ، أو المعنى الكامن المُضمَر، وهذا يُؤكِّد ارتباط المعنى النَّحويّ بمقَصد المُتكلِّم، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُعتمدُ فيه على الفعل القولي اللَّفظيّ، فكأنَّه تمهيدٌ، وتوطِئةٌ لِهذا الفِعل، إذ لا يمكن أنْ يتحقَّق إلاَّ بالاعتماد على الفِعل اللَّفظيّ، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُتوَصَّل إليه من خلال السِّياقين اللُّغويّ، والخارجيّ التَّداوليّ(غير اللُّغَويّ) .

(د) ـ فعل التأثير بالقول: الفِعل الذي يُعَدُّ نتيجةً وأثرًا من آثار الفِعل الإنجازيّ، ويكمنُ أثرُ الفِعل الإنجازيّ في استجابةِ المُخاطَب (جميع المسلمين) إلى هذا الفِعل الإنجازيّ، وهي استجابةٌ تكمنُ في الرِّضا والاقتناع بما أخبر به المُتكلِّم(النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم –)، وهي تقوى الله تعالى، واجتناب السيئات، ومعاشرة العباد بالأخلاق الحسنة، وهذا التأثير يظهر في سلوك المُخاطَب .

(١) انظر: دَلائِلُ الإعجاز، عبد القاهر الجُرجانيّ، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، (٢٦٢) .

المبحث الثالث

التحليل التركيبي لجُملة النَّهي في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي.

النَّهْيُ معجم : النَّهْيُ: خلاف الأمر، نَهاه يَنْهاه نَهْيًا فانتهى وتناهى كَفَّ، والنَّهْيُ معناه في أصل اللغة طلب الكفّ عن الفعل[١]، **واصطلاح:** النهي هو نفيُ القيامِ بالفعل، كما قال سيبويه: " لا تَضرِبْ نَفْيٌ لقوله: اضْرِبْ " [٢]، فلذا هو طلب الكَفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وأن النهي المطلق المجرد عن القرائن يفيد الوجوب والإلزام[٣].

وللنّهي صيغةٌ واحدةٌ، وهي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة الداخلة على الفعل المضارع، نحو قولك: " لا تفعلْ "، التي تُخَلِّصُهُ للاستقبال، وهي موضوعة لطلب التَّرْكِ وإنَّما جزمت المضارع؛ لأنَّها اختصَّت به سواء كان المطلوب منه مُخاطَبًا، أو غائبًا، أو مُتكلِّمًا، وزاد ابن هشام وقوعها على فعل المتكلِّم[٤]، وذكر المُبرّد في المقتضب: " فأمَّا حرف النهي فهو (لا)، وهو يقع على فعل الشاهد والغائب، وذلك نحو قولك: لا تَقُمْ يا رجلُ، لا يَقُمْ زيدٌ، لا تَقُومي يا امرأة، فالفعل بعده مجزومٌ به "[٥] .

يقع النَّهْي بعد الأمر في الطلب، ويتفق معه في بعض المهام، ويختلف في مهام أخر، فهما يتفقان فيما يأتي:

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (نهى) .

(٢) انظر: الكتاب، سيبويه، (١٣٦/١) .

(٣) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، (٤٢٩)، والإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، (١١٧) .

(٤) انظر: المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، (١٠٩٣/٢)، والجنى الداني، للمُرادي، (٣٠٠)، ومغني اللبيب، لابن هشام، (٤٧٥/١) .

(٥) انظر: المقتضب، للمبرّد، (١٣٢/٢) .

١ـ أن يكون كل من النهي والأمر قد بنيا على أساس الاستعلاء.
٢ـأنهما يتفقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان أمراً لنفسه أو ناهياً لها.
٣ـأنهما لابد من اخذ حال فاعلهما في كونه مريداً لها.

وأنهما يختلفان فيما يأتي:

١ـأن كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الأخر يكون الأمر على صيغة (افعلْ)، أما النهي فيكون صيغته (لا تفعلْ).

٢ـأن الأمر دال على الطلب أي طلب الفعل، أما النهي فإنه دال على المنع لا تفعل.

٣ـأن الأمر لابد فيه من إرادة مأمورة، وأن النهي لابد فيه من كراهية منهية[١] .

وقد يستعمل النهي بغير معناه الأَصلي وهو طلب الكف أو الترك (المعنى المباشر الحقيقي) إلى معانٍ ودلالات أخر (المعنى غير المباشر المجازيّ) تفهم من خلال سياق الكلام، وبمعونة القرائن التي تُوحي بالمعنى البلاغي الذي يفهمه المُتلقِّي أو المُخاطَب من خلال تذوُّقه للنَّصّ، أي: **وقد يخرج النَّهي عن معناه الأصلي الحقيقي؛ للدلالة على معانٍ أُخرى، يحتملها لفظ النَّهي، وتُستفاد من السِّياق وقرائن الأحوال، كما كان الشأن بالنسبة إلى الأمر** [٢] .

وعليه، فمفهوم جملة النَّهْي: هي نمط تركيبي من الجُمل الإنشائية الطلبية، فهي طلب الكَفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وللنَّهْي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة، ويظل معناها في الأصل اللُّغويّ ثابتًا، وقد تخرج هذه الصيغة عن هذا الأصل إلى معانٍ مجازيَّة كثيرة، ويُرشد إليها السِّياق وقرائن الأحوال.

(١) انظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، (١٢٩) .
(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسَّكَّاكيّ، (٤٢٩)، والإيضاح في علوم البلاغة، للقَزويني، (١١٧)، والخواطر الحسان في المعاني والبيان، جبر ضومط، (٢٢٨)، وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق، (٨٣-٨٤) .

وردت صيغة النَّهْي (لا) الجازمة للمضارع في ستة أحاديث من الأربعين، وفي تسع جُمل ناهيَّة[١]، واشتملت الجُمل الناهيَّة في الأحاديث على معانٍ وأغراض بلاغيَّة مختلفة، مثل: التوبيخ أو النصح والإرشاد (وهو من أكثر الأغراض التي يخرج لها النَّهي من معناه الأصلي) **أو التهديد، ومن الأمثِّلة التطبيقيَّة ما يلي :**

ـ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –:أَوْصِنِى؛ قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا؛ قَالَ: لاَ تَغْضَبْ » رواه البخاري[٢].

يتمثَّلُ السِّياق الدَّاخليّ للحدث اللغويّ لجملة الإنشاء الناهيَّة في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التَّركيب، فالبناءُ التَّركيبيُّ الشَّكليُّ لِجملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، فإذا تأملنا هذه الجملة الإنشائية الناهيَّة نجد أنَّ فيها تكرار؛ ففي التكرار توكيد وإلحاح وإصرار، والتوكيد هنا لفظي، وتدلُّ الجملة على النَّهْي الخالص عن الغَضب، ونجد في إعرابها: " **لا** ": حرف نهي لا محلَّ له من الإعراب، " **تَغْضَبْ** ": فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون، والفاعل: ضمير مستتر تقديره: " أنتَ " [٣]، **وبهذا فالجملة مُوجَّهة إلى مُخاطَب مُعيَّن** يتمثَّل في الضمير المستتر "أنتَ" الذي يُفسِّر الغَرض الذي جاء الحديث لإفادته، ولكن السِّياق اللُّغوي لا يستطيع أنْ يُفسِّره .

والمعنى الدلالي لجملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، هو ما قاله شُرَّاح الحديث: طلب رجُلٌ من النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلَّم – أنْ يُوصيه وصيَّةً وجيزة جامعة لِخصال الخير، فوصَّاه النَّبيُّ أنْ لا يغضبْ: لا تفعل الأفعال المقتضية للغضب، بلْ افعل الأسباب التي تُوجب حُسن الخُلق، أي: اجتنب أسباب الغَضب؛ لأنَّه ثوران في النَّفس يحملها على الرغبة في البطش والانتقام، وليس النَّهْي راجعًا إلى نَفس الغَضب؛ لأنَّه من طباع البشر، ولا يمكن الإنسان دفعه، ولكن المُراد امتلاك النَّفس أثناء الغَضب[٤].

---

(١) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، ح رقم: ١٦، (١٢)، ح رقم: ٢٤، (١٦)، ح رقم: ٢٤، (١٧)، ح رقم: ٣٠، (٢١)، ح رقم: ٣٠، (٢١)، ح رقم: ٣٠، (٢١)، ح رقم: ٣٠، (٢١)، ح رقم: ٣٥، (٢٣)، ح رقم: ٤٠، (٢٧) .

(٢) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، ح رقم: ١٦، (١٢).

(٣) انظر: إعراب الأربعين حديثا النووية، حسني عبد الجليل، (١١٣) .

(٤) انظر: شرح متن الأربعين النووية، للنوويّ، (٥٦)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٣٤٤) والتعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفيّ، (١٣٨)، والوافي في شرح الأربعين النووية، (١١٠) .

ويتمثَّل السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ (غير اللُّغويّ) للحدث الكلاميّ للحديث في السِّياق المقاميّ(أي: الجو الخارجي الذي يُحيط بالكلام من ظروف وملابسات، وهو البيئة غير اللغويَّة التي تُحيط بالحدث الكلامي وتُبيّن وتُؤثِّر في معناه)، وهذا يتمثّل في أسباب ورود الحديث: " ولعلَّ هذا الرجلَ الذي سأل النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – هو أبو الدرداء، فقد خرَّج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: قلتُ: يا رسولَ الله دُلَّني على عمل يدخلني الجنَّة، قال: « لا تَغْضَبْ ولكَ الجَنَّة» "[١]، وأورد حديث أبي الدرداء – أيضًا– ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتاب الأدب (باب الحذر من الغَضب) [٢].

دلَّ سبب ورود الحديث على السِّياق غير اللُّغوي (سياق الموقف) للنَّصّ، وتبَّنَ لنا من خلال سبب وروده عائدية الضمير المستتر المُخاطَب، وبهذا فهو مُوجَّه إلى مُخاطَب مُعيَّن، والنَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم – راعى حال المُخاطَب وخاطَبه بما يقتضيه حاله؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلَّم علم من هذا الرجل كثرة الغَضب فخصَّه بهذه الوصيَّة التي هي خطاب لكلِّ غضوب وليست مقصورة على الصحابي فقط، وأزال سياق الموقف الغموض الذي تشتمل عليه جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، وبيَّنَ غرض المُتكلِّم (الرسول صلى الله عليه وسلَّم) من إيراد هذا النَّهْي، والمُتمثِّل في مقام النَّصح والإرشاد للمُخاطَب (أبو الدرداء، أو لكلِّ غَضوب)، فسياق الموقف بيَّنَ لنا الحالة التي كان عليها المُخاطَب والظرف الذي أدَّى بالمُتكلِّم (الرسول صلى الله عليه وسلَّم) إلى سياق حديثه، وهكذا يتضح لنا أنَّ السِّياق غير اللُّغوي (سياق الموقف) له أثره البارز في فَهم معنى النَّصّ، وفي تكملة المعنى الدلالي .

وعليه، فالخِطاب في جملة الإنشاء النَّاهيَّة السابقة **لأبي الدرداء، أو لكلِّ غَضوب .**

وتكمنُ قصديَّة المُتكلِّم (الرسول صلى الله عليه وسلَّم) في أنْ يتبيَّنَ المُخاطَب (أبو الدرداء، أو لِكُلِّ غَضوب) ما يرغبُ المُتكلِّم في أنْ يُوصِلَ إليه من معانٍ، **فالقصديَّة** في جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، هي النُّصح والإرشاد للمُخاطَب في امتلاك النَّفس عند الغَضب.

وعليه، نقول: إنَّ من أهمِّ أهداف الدِراسة التَّداوليَّة، عدم الاعتماد على المعنى الحرفيِّ لمعرفة مقاصد المُتكلِّم، أي: دِراسة المعنى الذي يرمي إليه المُتكلِّم من خلال ما يقول.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٣٤٤) .

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البُخاري، لابن حجر العسقلاني، أشرف على تحقيق الكتاب وراجعه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠١٣م، (٥١٠/١٨) .

الإشاريَّات الشخصيَّة في جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ) تتمثَّل** في ضمير المُخاطَب المُستتر في فعل النَّهْي **(لاَ تَغْضَبْ)**، وتقديره: أنتَ، وموقعه الإعرابي: فاعل الفعل، وهو عنصر إشاري شخصيّ، ولا يُعرف مَرجعه من السِّياق اللُّغويّ في الحديث، والذي يُفسِّر العنصر الإشاري– ضمير المُخاطَب– **هو السِّياقُ الخارجيُّ التَّداوليُّ** (غير اللُّغوي) **للحدث الكلاميّ للحديث**، حيثُ **نَهى المُتكلِّم** (الرسول صلى الله عليه وسلَّم) المُخاطَب (أبو الدرداء، أو لِكُلِّ غَضوب) عن الأسباب التي تُوصِّل إلى الغَضب، وعدم الأخذ بها، وكذلك الآثار التي تترتب عليه، **والإحالـةُ هنـا خارجيَّـةٌ**؛ لأنَّ المُحال عليه يُفهم من السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ للحدث الكلاميّ .

الافتراض المُسبق في جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)** يتمُّ على افتراض وجود أساس سابق لدى المُخاطَب يعتمدُ عليه المُتكلِّم في بناء خِطابه، وينطلق منه المُخاطَب للوصول إلى غاية المُتكلِّم من خلال السِّياق اللغويّ، وذلك باستخدام المُتكلِّم الجملة الفعلية المنهيَّة المكوَّنة من أداة النَّهْي "لا"، والفعل المضارع "تغضب"، فالجملة خالصة في النَّهْي عن الغَضب، فالمعنى الذي يحمله الافتراض المُسبق في هذه الجملة، **هو وُجُود** غَضب في الحياة الدنيا، **ووُجُود** إنسان كثير الغَضب (غَضوب)، **ويُضافُ إلى هذا الافتراض** بيان ما بداخل المُتكلِّم من معرفته بحال هذا الرجل السائل، وهو كثير الغضب، فأرشده صلى الله عليه وسلم إلى امتلاك نَفسه عند الغَضب، وهذا المعنى للافتراض المُسبق **نوعه واقعي**؛ لأنَّ هذا الحديث الذي قاله المُتكلِّم للمُخاطَب واقعي، وهو في أبي الدرداءأو في كلِّ شخص غَضوب .

الاستلزام الحواري الذي تَوصَّل إليه بول جرايس، وأقامه على وجوب تعاوُن المُتكلِّم والمُخاطَب أو المُتلقِّي يُعَدُّ من أهمِّ مجالات التَّداوليَّة، ويظهر هذا الاستلزام في جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، حيث إنَّ الجملة تحتوي على معنيين اثنين، **الأوَّل: المعنى الصريح المباشر الظاهر**: المُتمثِّل في صيغة النَّهي (لاَ تَغْضَبْ) هي: فعل النَّهْي، والمُؤشَّر لها بـ " لا تفعلْ "، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: اترك أو اجتنب أسباب الغَضب، ولا تتعرَّضلِمَا يُجلبه – كما ذكرتُ آنفًا –، فقد يُستعمل النَّهي بدلالته الحرفيَّة لِيُصبح دليلاً صريحًا على حرص المُتكلِّم أنْ يُبلِّغَ المُخاطَب أوالمُتلقِّي قصده، أي نهيه عن فعل أمر مُحدَّد، **والثاني: المعنى الضمني المُستلزم الحواري**: وهي قُوَّةٌ إنجازيَّةٌ غير مباشرة، وهي دلالةٌ مُستلزمةٌ مقاميًّا، حيث احتوى تركيب جملة الإنشاء الناهيَّة على قُوَّةٍ إنجازيَّة تمثَّلتْ في صِيغة فعل **النَّهي (لاَ تَغْضَبْ)**، وقد يُعبِّرُ النَّهي عن أُمور أُخرى تكشف عنها القرائن السِّياقيَّة، ويُحدِّدها الحدث الكلاميّ، أي قد

تتضمَّنُ صيغة النَّهي قُوَّةً إنجازيَّةً تُؤدِّي وظائف تواصليَّة مُعيَّنة يحكمها مبدأ القصد أو الغَرَض الذي يُريده المُتكلِّم من خِطابه، **فالجملة السَّابقة حملتْ قُوَّةً إنجازيَّةً مقاميَّة** غير النَّهْي، **وهي** النُّصح والإرشاد، أي أنَّ هذه الجملة جاءتْ على خلاف مُقتضى الظاهر ترتبط بقرائن سياقيَّة تفرض على المُؤوِّل أنْ يعتمد مقام تركيبها؛ لِيفهم معنى المعنى(الاستلزام الحواري التَّداوليّ)، وبذلك يكون تنبيه السَّامعين، وبيان العاقبة مُساندًا للقصد الذي يُريده المُتكلِّم من خلال خروج المعنى عن التركيب السَّطحيّ للجملة إلى تركيب أعمق ارتبطَ بمقام الحدث الكلامي في الحديث، وبهذا يبدو أنَّ الطلب باستعمال صيغة النَّهي ليس تابعًا للتَّركيب اللُّغويّ فقط، وإنَّما يعتمد على قرائن سياقيَّة تداوليَّة فحواها النَّظر إلى حال المُتكلِّم أو منزلته مقارنًا مع المُخاطَب.

وعليه، نقول: إنَّ القُوَّةَ الإنجازيَّة هي المُعبَّر عنها في الجملة في حين أنَّ القُوَّةَ الإنجازيَّة المُستلزمة الحوارية هي ما تستلزمه الجملة في مقام ما.

وبناءً على ما سَبَقَ، يمكن أنْ نُحلِّل الاستلزام الحُواري تداوليًّا وفْقَ الشَّكل التالي:

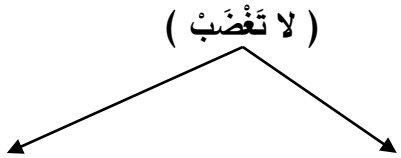

المعنى الحَرفيُّ(الظاهر)	المعنى المُستلزم(الضمني)
النَّهي عن الأسباب المقتضيَّة للغَضب واجتنابها.	النُّصح والإرشاد في امتلاك النَفْس عند الغَضب.

الفعل الكلامي في جملة الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)، يشتمل على التالي:**

(أ) ـ فعل القول (الكلامي): يُنتجه المُتكلِّم بمجرَّد تلفظه بالجملة، وتُعدُّ صيغة **النَّهي (لاَ تَغْضَبْ)** فِعلَ القول، وهي مُكوَّنة من أصوات لُغويَّة ينتظمها تركيب نَحويّ صحيح ينتج عنها معنى مُحدَّد هو

المعنى الحرفيّ أو الأصليّ المفهوم من التَّركيب، ولها مَرجع يُحيلُ إليها – كما ذكرتُ آنفًا –، ولا يمكن الاعتماد عليها في توضيح أبعادها.

(ب) ـ الفِعلُ القَضَويُّ: وهو ما يشتمل على قضيَّة تظهر من معنى الجملة الحرفيّ (الصريح) لا من ما يقصدُهُ المُتكلِّم من الجملة بمكوِّناتها، ويتشكَّلُ من:

١ ـ فعل الإحالة: حيث نلاحظ إنَّ المُتكلِّم (النَّبيّ – صلى الله عليه وسلَّم –) يُحيلُ على المُخاطَب في جملة الإنشاء الناهيَّة، **وهو:** (أبو الدرداء، أو لِكُلِّ غَضوب)، وذلك عن طريق الإشارة إليهم بضمير المُخاطَب المُستتر، وتقديره: لا تغضبْ: " أنتَ ".

٢ ـ فعل الإسناد (المحمول): ويتمثَّلُ في صِيغة النَّهي، المُكوَّنة من محمول **النَّهي (لاَ تَغْضَبْ)**، ويتمثَّل هذا الإسناد في **مُسند:** الفعل المضارع المجزوم، **ومُسند إليه:** الفاعل الضمير المُخاطَب المُستتر، وتقديره: " أنتَ " .

٣ ـ فعل دلاليّ: تَكمنُ القَضيَّة التي تَتَبدَّى من دلالة جملة الإنشاء الناهيَّة الحرفيَّة في المعنى الظاهر الصريح كما قاله شُرَّاح الحديث – كما ذكرتُ آنفًا – : لا تفعل الأفعال المقتضية للغضب، بلْ افعل الأسباب التي تُوجب حُسن الخُلق، أي: اجتنب أسباب الغَضب.

وهذا الفِعلُ القَضَويُّ من زيادات جون سيرل على الرُّغْم من أنَّ المُراد منه يَدور في فلكِ المُراد من الفِعل اللَّفظيّ عند أُوستن من حيثُ إنَّه يعتمدُ عليه وُجُوبًا للوصُول إلى الفِعل الإنجازيّ الذي يَقصدُه المُتكلِّم(رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) .

(ج) ـ فعل الإنجاز(المُتضمِّن في القول أو الغَرضيّ): ما يَكمنُ في ذِهنِ المُتكلِّم من غَرَض أو مَقصد يرغَبُ في أنْ يَتبيَّنَه المُخاطَب، ولا بُدَّ في الفعل الإنجازيّ من توضيح المُخاطَب أو المُتلقِّي لِقَصْدِ المُتكلِّم، ويتمثَّلُ في انطواء **جملة** الإنشاء الناهيَّة **(لاَ تَغْضَبْ)**، على قُوى إنجازيَّة، وتتمثَّلُ في:

١ـ قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة(مباشرة): هي: فعل النَّهْي، والمُؤشَّر لها بـ " لا تفعلْ "، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: النَّهي عن الأسباب المقتضيَّة للغَضب واجتنابها، فالمعنى المُباشر ظاهرٌ حقيقيٌّ أصليٌّ منطوقٌ مُتعلّقٌ ببناء جملة الإنشاء الناهيَّة .

٢ـ قُوَّة إنجازيَّـة مُستلزمة(غير مباشرة): ويُصاحِبُ قُوَّةَ صِيغة فعل النَّهْي الإنجازيَّة الحرفيَّة فعلٌ تَعبيريٌّ آخر يُشيرُ إلى هَدَف أو قَصْدِ المُتكلِّم من هذه الصِيغة، ويرغَبُ المُتكلِّم في أنْ يتبيَّنَهُ المُخاطَب، **وهذا الغَرَض أو المَقصَدُ من النَّهْي هو** النُّصح والإرشاد في امتلاك النَفْس عند الغَضب، **ولِهذا** يمكنُ أنْ نُعدَّ الفعل القولي **(لاَ تَغْضَبْ)** من أصناف الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة، **وغرضه الإنجازيّ التَّداوليّ بلغة جون سيرل يندرج ضمن صِنف " التَّوجيهيَّات أو الأمريات "، ويتمثَّلُ** في محاولة المُتكلِّم توجيه المُخاطَب للقِيام بفعل مُعيَّن، ويُعدُّ الفعل التوجيهيُّ مُلْزِمًا للمُخاطَب، أي أنَّ الغَرَض الإنجازيّ من الفعل الكلاميّ **(لاَ تَغْضَبْ) هو**: النُّصح والإرشاد، وهذا الفعل الإنجازيّ **في السِّياق المقاميّ التَّداوليّ** الذي وردَ فيه لا يُقصدُ به فعل النَّهْي فقط، وإنَّما أُنجز به فعل النُّصح والإرشاد، **الذي يُمثِّلُ لنا فعلاً إنجازيًّا غيرَ مباشرٍ عند جون سيرل،** وهو فعل لا تدلُّ عليه صِيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسِّياق وقرائن الأحوال دخل في تحديده والتوجيه إليه، أي أنَّ المعنى غير المُباشر يُمثِّلُ غَرض ومَقصد المُتكلِّم، أي أنَّ صيغة النَّهْي " لا تفعلْ " **كما قال مسعود صحراوي، هي:** " فعل كلامي أصلي، أمَّا البقية فهي أفعال مُتضمِّنة في القول مُنبثقة من الأصل، **وما اعتبره بعض اللُّغويين والنُّحاة (معانَي مجازيَّة)، إنَّما هي أفعال كلاميَّة تُؤدِّي أغراضًا خِطابيَّة،** ووظائفَ تواصليَّة مُعيَّنة يَحكُمها **مبدأ (الغَرَض) أو (القصد)** الذي يبتغيه المُتكلِّم من الخِطاب "[١].

إذن إنَّ صِيغة النَّهي (لاَ تَغْضَبْ) فعلٌ لُغويٌّ غيرُ مباشرٍ؛ لأنَّه يحتاجُ إلى تأويل لإظهار القَصد الإنجازيّ، أو المعنى الكامن المُضمَر، وهذا يُؤكِّد ارتباط المعنى النَّحويّ بمقَصد المُتكلِّم، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُعتمدُ فيه على الفعل القولي اللَّفظيّ، فكأنَّه تمهيدٌ، وتوطِئةٌ لِهذا الفِعل، إذ لا يمكن أنْ يتحقَّق إلاَّ بالاعتماد على الفِعل اللَّفظيّ. وهذا الفِعل الإنجازيّ يُتوَصَّل إليه من خلال السِّياقين اللُّغويّ، والخارجيّ التَّداوليّ(غير اللُّغَويّ) .

(د) ـ فعل التأثير بالقول: الفِعل الذي يُعَدُّ نتيجةً وأثرًا من آثار الفِعل الإنجازيّ، ويكمنُ أثرُ الفِعل الإنجازيّ في استجابةِ المُخاطَب (أبو الدرداء، أو لِكُلِّ غَضوب) إلى هذا الفِعل الإنجازيّ، وهي استجابةٌ تكمنُ في الرِّضا والاقتناع بما نَهى عنه المُتكلِّم(رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –)، وهو مجاهدة

(١) انظر: التَّداوليَّة عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (١١١) .

النَّفس على ترك مقتضى الغَضب، فالمُخاطَب يلتزم ويجتنب بما نَهى عنه صلى الله عليه وسلَّم، ويتصفُ بمكارم الأخلاق.

المبحث الرابع

التحليل التركيبي للجملة النِّدائيَّة في الأحاديث الأربعين من منظور تداولي.

النِّداء معجم: ممدود، الدُّعاء بأرفع الصوت، وقد ناديته نِداء، وفلان أَندى صوتًا من فلان أي أبعدُ مذهبًا وأرفع صوتًا، أو هو الصوت مِثل الدُّعاء والرُّعاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداه ونِداء أي: صاحَ به[١]، **واصطلاح:** في اصطلاح النُّحاة، هو: " تنبيه المدعوّ بأحرف موضوعة لذلك "[٢]، وأوضح ابن السرّاج (ت ٣١٦هـ) أنَّ التنبيه هو لأجل الإقبال بقوله: " النداء: تنبيه المدعوِّ ليُقْبِلَ عليك "[٣]، أو " إنَّ الغَرض بالنداء التصويت بالمُنادى ليُقْبِلَ "[٤]، وهو في اصطلاح البلاغيين، هو طلب المنادى للإقبال، فقد جاء في كتاب البلاغة العربية " هو طلب الإجابة لأمرٍ ما بحرف من حروف النداء يَنُوبُ مناب: أدعو...، وهذه الحروف ثمان، وهي: " أَ، أَيْ "، فلنداء القريب، و " أَيَا، هَيا، آ "، فلنداء البعيد، و " يا "، فالراجح أنَّها موضوعة لنداء البعيد حقيقةً أو حُكْما، وقِيل مُشتركة "[٥].

الأصل في النداء أن يكون مُوجَّهًا للمُخاطَب العاقل القريب من مدّ الصوت لكي ينتبه ويقبل عليك، وهذا ما قال به كُلّ النُّحاة لإدراكهم أهمية المُشاركة بين طرفي الحديث(المُتكلِّم والمُخاطَب)، فالنداء " من الوسائل التي تُؤسس لعمل التخاطب قبل الشروع فيه إذ به يتعيَّن المُتكلِّم باعتباره متلفظًا ويتعيَّن المُخاطَب باعتباره مقصودًا بالخطاب "[٦]، فأنتَ تختار واحدًا من بين مجموع الحاضرين لتخصّه بالكلام[٧]، فتبدأ قبل الحديث باختيار الشخص الذي ترغب بفتح قناة اتصال معه، وهي مرحلة سابقة لمرحلة الحديث نَفسه

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ندي) .
(٢) انظر: الكتاب، سيبويه، (٢٢٩/٢) .
(٣) انظر: الأصول في النَّحو، لابن السَّرَّاج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، (٣٢٩/١) .
(٤) انظر: شرح المُفصَّل، لابن يعيش، (٣٦/٢) .
(٥) انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكه، (٢٤٠/١) .
(٦) انظر: المُشيرات المقاميَّة في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٩م، (٢٤٨) .
(٧) انظر: شرح المُفصَّل، لابن يعيش، (٤٦/٢) .

الذي قد يكون إخبارًا أو نَهيًّا أو أمرًا، فالمنادى بحسب سيبويه " مُختصٌ من بين أُمَّتِهِ لأمرك أو نهيك أو خبرك "[١]، وهي إشارة في غاية الدِّقة منه إلى أنَّك تسبق حديثك كلّه بالنداء أو التنبيه؛ لأنَّه الأوَّل في العمليَّة الاتصاليَّة[٢] .

وقد يخرج النداء عن المعنى الأصلي الموضوع له، فيُستعمل لدى البلغاء وغيرهم في أغراض أُخرى غير النداء، وهذه الأغراض تُفهَم من قرائن الحال أو قرائن المقال، كأن يُستعمل النداء في الزجر واللوم أو التحسر والتوجع أو التشويق... [٣].

وعليه، فمفهوم الجملة النِّدائيَّة: هي نمط تركيبي من الجُمل الإنشائية الطلبية، فهي طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة " أدعو "، والغاية منه أنْ يصغي مَنْ تُناديه إلى أمر ذي بال، ولِذا غلب أنْ يلي النِّداء أمر أو نَهي أو إخبار بحُكم، ولها مقاصد مجازيَّة يقصد إليها المُتكلِّم.

ورد النِّداء في تسعة أحاديثٍ من الأحاديث الأربعين، وفي اثنتي عشرة جملة ندائيَّة[٤]، واشتملت الجُمل النِّدائيَّة في الأحاديث على معانٍ وأغراض بلاغيَّة مختلفة، مثل: الإغراء أو التحسُّر والتوجُّع أو الاستغاثة أو الالتماس، وقد استخدم المُتكلِّم أداةً واحدةً من أدوات النِّداء، وهي: (يا)، ومن الأمثِّلة التطبيقيَّة ما يلي :

ـ عَنِ أَبِي العباس عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما–، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبيّ – صلى الله تعالى عليه وسلَّم – يَوْمًا، فَقَالَ: « يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ **رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ».** رواه التِّرْمِذِيُّ، وقال :حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي رواية غير التِّرْمِذِيّ : «

(١) انظر: الكتاب، سيبويه، (٢/٢٣١-٢٣٢) .

(٢) انظر: السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات المنَّاع، (٢٣٤) .

(٣) انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكه، (١/٢٤٠) .

(٤) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، لا بن رجب، ح رقم: ٢، (٥)، ح رقم: ٢، (٦)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ١٠، (١٠)، ح رقم: ١٩، (١٣)، ح رقم: ٢١، (١٤)، ح رقم: ٢٤، (١٦)، ح رقم: ٢٨، (١٩)، ح رقم: ٢٩، (٢٠)، ح رقم: ٣١، (٢٢)، ح رقم: ٤٢، (٢٨) .

احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِى الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِى الشِّدَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَاأَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً »[١] .

يتمثَّلُ السِّياق الدَّاخليّ للحدث اللغويّ لجملة الإنشاء النِّدائيَّة في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التَّركيب، فالبناءُ التَّركيبيُّ الشَّكليُّ لِجملة الإنشاء النِّدائيَّة **(يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، فإذا تأملنا هذه الجملة الإنشائية النِّدائيَّة نجد أنَّ " يا غلامُ...": جاءت في سياقها اللُّغوي بصيغة النِّداء، وهي قرينة لفظيَّة استخدمها للفت انتباه السامع لأهميَّة ما بعدها، ثُمَّ استخدم أداة التوكيد "إنِّي": التي تُؤكِّد ما بعدها، فهذا التركيب النِّدائي يقوم على مكونين اثنين: أداة نداء + المُنادى، فـ " **يا** ": حرف نداء لا محلَّ له من الإعراب، و" **غلامُ** ": مُنادى مبني على الضم في محلِّ نصب؛ لأنَّه نكرة مقصودة، وهي التي يزول إبهامها وشيوعها بسب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها، والاتجاه إليه وحده بالخطاب؛ فتصير معرفة دالة على واحد مُعيَّن، ولولا هذا النِّداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف[٢].

(يا): هي عند النُّحاة أُمُّ باب النِّداء، وهي أكثر أحرف النِّداء استعمالاً، فلذلك دخلت في جميع أبوابه، وهي أداة تنتهي بـ " الألف " الملازمة للمدّ، لذلك فهي تُستعمل في نداء البعيد لإمكان امتداد الصوت ورفعه بها[٣]، وهي تُستعمل في نداء البعيد حقيقةً أو حُكمًا؛ لأنَّهم قد يستعملونها في نداء الإنسان الساهي أو الغافل أو النائم وإنْ كان قريبًا منهم[٤]، وقد ذهب بعضُ النُّحاة إلى أنَّ استعمالها في نداء القريب الفَطِن إنَّما هو من المجاز الذي يُراد به التأكيد، وأنَّ الخِطاب الذي يتلوه مُعتنى به جدا[٥] .

والمعنى الدلالي لجملة الإنشاء النِّدائيَّة **(يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، هو ما قاله شُرَّاح الحديث: يُخبرنا ابن عباس – رضي الله عنهما – بتلك الوصية الجامعة المانعة، التي أوصاه بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ كان راكبًا خلفه على دابة، ويُنبِّهُه صلى الله عليه وسلم ويُناديه: "يا غُلامُ"؛

(١) انظر: الأربعون النووية وتمتتها، ح رقم: ١٩، (١٣-١٤).
(٢) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، ٢٠٠٨م، (٢٥/٤) .
(٣) انظر: الكتاب، سيبويه، (٢٣٠/٢)، والمقتضب، للمبرّد، (٢٣٣/٤)، وشرح المفصَّل، لابن يعيش، (٣٦/٢)، والجنى الداني، للمُرادي، (٣٥٤)، ومغني اللبيب، لابن هشام، (٧٠٤/١) .
(٤) انظر: الكتاب، سيبويه، (٢٣٠/٢)، والأصول في النحو، لابن السراج، (٣٢٩/١) .
(٥) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج، (٣٢٩/١)، وشرح المفصَّل، لابن يعيش، (٣٦/٢)، والجنى الداني، للمُرادي، (٣٥٤)، ومغني اللبيب، لابن هشام، (٧٠٤/١)، والبرهان، للزركشيّ، (٤١٥/٢) .

ليجمع ذهنه ويستحضر قلبه، ثُمَّ يُشوّقه إلى ما سيقوله له، فيقول له: "إنِّي أُعلِّمك كلمات"، أي: جُملاً تحتوي على نصائح ينفعك الله بها، ... [١] .

ما سَبَقَ تحليله يُمثِّلُ السِّياق الداخلي للحدث اللغويّ في جملة الإنشاء النِّدائيَّة، أي: في العلاقات النَّحويَّة والدلاليَّة بين الكلمات داخل التركيب .

ويتمثَّل السِّياق الخارجيّ التَّداوليّ (غير اللُّغويّ) للحدث الكلاميّ للحديث في السِّياق المقاميّ(أي: الجو الخارجي الذي يُحيط بالكلام من ظروف وملابسات، وهو البيئة غير اللغويَّة التي تُحيط بالحدث الكلامي وتُبيِّن وتُؤثِّر في معناه)، **وهذا يتمثّل في أسباب ورود الحديث: " سببه:** عن ابن عباس قال: كُنتُ خلف النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – يومًا، فقال: ياغلام ...، فذكر الحديث[٢].

وممَّا ينبغي التذكير به أنَّ سببَ ورودُ هذا الحديث ذكر في الحديث نَفسه، وكما ذكرنا آنفًا في تمهيد البحث عند نقطة: " التعريف بعلم أسباب ورود الحديث "، أنَّ أسباب ورود الحديث على نوعين، منها: ما يُنقل فيه سبب ورود الحديث في الحديث نَفسه، إذ يجتمع النَّصُّ وسبب وروده في حديث واحد، ونُمثِّلُ له بهذا الحديث.

والنَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – بتوجيهه هذا الكلام إلى " ابن عبَّاس "، فإنَّه لا يقصده بعينه، وإنَّما هو بصدد تبليغ الرسالة المُتضمِّنة لهذه الأحكام للأُمَّة الإسلاميَّة جمعاء، **وعليه، فالخِطاب** في الحديث لـ **(ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم).**

وتكمنُ قصد يَّة المُتكلِّم (رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) في أنْ يتبيَّنَ **المُخاطَب** (ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم) ما يرغبُ المُتكلِّم في أنْ يُوصِلَ إليه من معانٍ، **فالقصديَّة** في جملة الإنشاء النِّدائيَّة **(يَا غُلاَمُ...)**، هي خروج النِّداء عن معناه الأصلي إلى معنى **الإغراء** " وهو الحث على طلب الأمر الذي يُنادى له، كقولك لِمَنْ يتظلَّم: يا مظلوم تكلَّم، فأنتَ تُريد بهذا النِّداء إغراءه وحثَّه على بثِّ الشَّكوى وإظهار التظلُّم "[٣]؛ حتى يتلهَّف (المُخاطَب) لِمَا سيقوله (المُتكلِّم) له .

(١) انظر: شرح الأربعين حديثًا النوويَّة، لابن دقيق العيد، (٥٤)، والتعيين في شرح الأربعين، للطوفيّ، (١٦١)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٤٣٤)، والوافي في شرح الأربعين النووية، (١٣٣) .

(٢) انظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الدمشقي، (٩٨/١) .

(٣) انظر: علم المعاني، بسيوني فيود، (٤١٤) .

الافتراض المُسبق في هذا الحديث يتمُّ على افتراض وجود أساس سابق لدى المُخاطَب يعتمدُ عليه المُتكلِّم في بناء خِطابه، وينطلق منه المُخاطَب للوصول إلى غاية المُتكلِّم من خلال السِّياق اللغويّ، فالمعنى الذي يحمله الافتراض المُسبق في جملة الإنشاء النِّدائيَّة **(يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، **هو وُجُود** دُعاة مُربِّين، **ووُجُود** أطفال مسلمين لِتنشئتهم على قواعد الإسلام، **ووجود** فن الوصايا، **أي:** اهتمام المُتكلِّم (رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –) بتوجيه الأُمَّة، وتنشئة الجيل المسلم المثالي بتلك الوصيَّة التي تحتوي على نصائح تنفع المسلم، **ويُضافُ إلى هذا الافتراض** بيان ما بداخل المُتكلِّم من معرفته بالمُخاطَب، وهو ابن عمِّه، فأوصاه صلى الله عليه وسلم بتلك الوصيَّة الجامعة، وهذا المعنى للافتراض المُسبق **نوعه واقعي؛** لأنَّ هذا الحديث الذي قاله المُتكلِّم للمُخاطَب واقعي، وهو لـ (ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم).

الاستلزام الحواري الذي تَوصَّل إليه بول جرايس، ويظهر هذا الاستلزام في جملة الإنشاء النِّدائيَّة **(يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، حيث إنَّ الجملة النِّدائيَّة تحتوي على معنيين اثنيين، **الأوَّل: المعنى الصريح المباشر الظاهر:** فهذا التركيب النِّدائي يقوم على مكونين اثنين: أداة نداء + المُنادى، وهي دلالة حرفيَّة أو قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة: مُناداة وتنبيه من رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – إلى عبد الله بن العبَّاس؛ لِيجمع ذهنه ويستحضر قلبه لِمَا سيقوله له، **والثاني: المعنى الضمني المُستلزم الحواري:** قُوَّةٌ إنجازيَّةٌ غير مباشرة، وهي دلالةٌ مُستلزمةٌ مقاميًّا، حيث احتوى تركيب جملة الإنشاء النِّدائيَّة على قُوَّةٍ إنجازيَّة تمثَّلتْ في صِيغة المكوِّن النِّدائي **(يا + غُلامُ)**، وقد يُعبِّرُ المكوِّن النِّدائي عن أُمور أُخرى تكشف عنها القرائن السِّياقيَّة، ويُحدِّدها الحدث الكلاميّ، أي قد تُؤدِّي وظائف تواصليَّة مُعيَّنة يحكمها مبدأ القصد أو الغَرَض الذي يُريده المُتكلِّم من خِطابه، **فالجملة السَّابقة حملتْ قُوَّةً إنجازيَّةً مقاميَّة** غير النِّداء، **وهي: الإغراء** حتى يتلهَّف (المُخاطَب) لِمَا سيقوله (المُتكلِّم) له .

وعليه، يمكن أنْ نُحلِّل الاستلزام الحُواري تداوليًّا وفْقَ الشَّكل التالي:

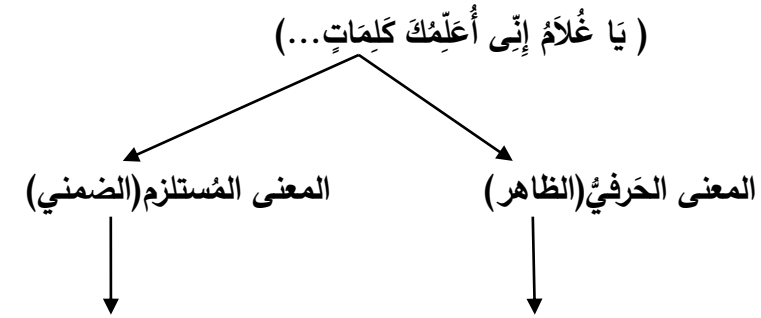

مُناداة وتنبيه من رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – إلى عبد الله بن العبَّاس.

هو إغراء المُخاطَب (ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم)؛ لِيشوِّقه المُتكلِّم لِمَا سيقوله له.

الفعل الكلامي في جملة الإنشاء **النِّدائيَّة (يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)، يشتمل على التالي:**

(أ) ـ فعل القول (الكلامي): يُعَدُّ التَّركيب الاستفهاميُّ السَّابق فِعلَ القول، ولا يمكن الاعتماد عليه في توضيح أبعاده.

(ب) ـ الفِعلُ القَضَويُّ: وهو ما يشتمل على قضيَّة تظهر من معنى الجملة الحرفيّ (الصريح) لا من ما يقصدُهُ المُتكلِّم من الجملة بمكوِّناتها، ويتشكَّلُ من:

١ ـ فعل الإحالة: حيث نلاحظ إنَّ جملة الإنشاء النِّدائيَّة مُكوَّنة من:

أ ـ أداة النداء: يا (المُنادِي: المُتكلِّم(رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم –))، **ويُحيلُ** على،

ب ـ المُنادَى: غُلامُ (المُخاطَب: لِتحصيصه بالأمر المُنادَى، **وهو:** ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم)،

ج ـ الأمر المُنادَى من أجله (للإقبال إلى المُنادِي): **وهو:** " إنِّي أُعلِّمك كلمات..." .

٢ ـ فعل الإسناد (المحمول): ويتمثَّلُ في صِيغة النِّداء، المُكوَّنة من محمول **النِّداء (يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، ويتمثَّل هذا الإسناد في **مُسند:** أداة النداء: يا (المُنادِي: المُتكلِّم)، **ومُسند إليه:**

المُنادَى: غُلامُ (المُخاطَب)، ومكملات الجملة النِّدائيَّة (الأمر المُنادَى من أجله)، وهي: الجملة الخبريَّة المنسوخة المُؤكَّدة " إنّي أُعلِّمك كلمات..." .

٣ ـ فعل دلاليّ: تَكمنُ القَضيَّة التي تَتَبدَّى من دلالة الجملة النِّدائيَّة الحرفيَّة في المعنى الظاهر الصريح كما قاله شُرَّاح الحديث – كما ذكرتُ آنفًا– : مُناداة وتنبيه من رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – إلى عبد الله بن العبَّاس؛ ليجمع ذهنه ويستحضر قلبه، ثُمَّ يُشوّقه إلى ما سيقوله له .

(ج)ـ فعل الإنجاز(المُتضمِّن في القول أو الغَرضيّ): ويتمثَّلُ في انطواء **جملة** الإنشاء **النِّدائيَّة (يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...)**، على قُوى إنجازيَّة، وهي:

١ ـ قُوَّة إنجازيَّة حرفيَّة(مباشرة): وهي جملة النِّداء السَّابقة، وهي المعنى المباشر الصريح(المعنى الحرفيّ) – كما ذكرتُ آنفًا – .

٢ ــ قُوَّة إنجازيَّة مُستلزمة(غير مباشرة): ويُصاحِبُ قُوَّةَ الجملة النِّدائيَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة فعلٌ تَعبيريٌّ آخر يُشيرُ إلى هَدَف أو قَصْدِ المُتكلِّم من هذه الجملة، ويرغَبُ المُتكلِّم في أنْ يتبيَّنَهُ المُخاطَب، **وهذا الغَرَض أو المَقصَدُ من** النِّداء **هو إغراء** المُخاطَب (ابن عبَّاس، أو لِكُلِّ مُسلم)؛ لِيشوِّقه المُتكلِّم لِمَا سيقوله له، **ولِهذا** يمكنُ أنْ نُعدَّ الفعل القولي **(يا غُلامُ...)** من أصناف الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة، **وغرضه الإنجازيّ التَّداوليّ بلغة جون سيرل يندرج ضمن صِنف " التَّوجيهيَّات "، ويتمثَّلُ** في محاولة المُتكلِّم تنبيه المُخاطَب لِتشويقه إلى ما سيقوله له، ويُعدُّ الفعل التوجيهيُّ مُلْزِمًا للمُخاطَب، وهذا الفعل الإنجازيّ في السِّياق المقامي التَّداوليّ الذي وردَ فيه لا يُقصدُ به فعل النِّداء والإقبال فقط، وإنَّما أُنجز به فعل الإغراء، **الذي يُمثِّلُ لنا فعلاً إنجازيًّا غير مباشر عند جون سيرل؛ لأنَّ** قُوَّته الإنجازيَّة على خِلاف مُراد المُتكلِّم، أو على خِلاف قُوَّته المباشرة أو الحرفيَّة، وهذا الفِعل الإنجازيّ يُتوَصَّل إليه من خلال السِّياقين اللُّغويّ، والخارجيّ التَّداوليّ (غير اللُّغويّ) .

(د) ـ فعل التأثير بالقول: الفِعل الذي يُعَدُّ نتيجةً وأثرًا من آثار الفِعل الإنجازيّ، ويكمنُ أثرُ الفِعل الإنجازيّ للمُخاطَب في أنَّه استجاب إلى هذا الفِعل الإنجازيّ، وهي استجابةٌ تكمنُ في الرِّضا والاقتناع، والالتزام بأوامر الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلَّمَ –.

الخـاتمـــة

لقد خَلُصتُ من هذا البحث إلى جُملةٍ من النتائج تُشكِّل خاتمة البحث في بُعديه النَّظري والتَّطبيقي على حدٍّ سواء، ومنها:

١ ـ التحليل اللُّغوي أو ما سُمِّي بالإعراب الشَّكليّ لا يكفي لِيُفسِّر المعنى النَّحوي في جُمل الإنشاء الطلبيَّة في الأحاديث الأربعين النَّوويَّة، ولكن يُفسَّر عن طريق تضافر السِّياقين اللُّغوي (الداخلي) وغير اللُّغوي (الخارجي التَّداوليّ)، فقد اهتمَّ النُّحاة مُبكِّرًا بدراسة علاقة المعنى بالتحليل اللُّغوي (الإعراب)، وهم يرونَ أنَّه لا يمكن أنْ يكون هناك تحليل دونَ فَهم للمعنى، ومعنى ذلك: أنَّه ينبغي أَلاَّ ندرس التَّراكيب اللُّغويَّة معزولةً عن واقع إنتاجها.

٢ ـ معرفة أسباب ورود الحديث من الأمور المعينة على فَهم الحدث الكلامي للحديث، وعلى ما يُحيط به من ظروف وملابسات، ويقوم مقام السِّياق الخارجيّ؛ إذ أدَّى إلى فهم النَّصّ الحديثي، وبلوغ قصديَّة المُتكلِّم، وكشف عن المعنى المقامي التَّداوليّ.

٣ ـ يُعدُّ مرجع ضمير الخِطاب في الأحاديث النَّوويَّة من العناصر الإشاريَّة الشخصيَّة، وغالبًا ما يكون مرجعه مقاميًّا خارجيًّا؛ لأنَّه يُحيل إلى مُخاطَب موجود خارج النَّص، وقد يُحيل إلى مُشار إليه موجود في السِّياق اللُّغوي للنَّصِّ فإحالته داخليَّة، فالسِّياق له دورٌ مُؤثِّر في إيضاح العناصر الإشاريَّة سواءٌ الإحالة فيها داخليَّة أو خارجيَّة، فالملاحظُ من تفسير ضمير المُخاطَب في جُمل الإنشاء الطلبيَّة، أنَّ الخِطاب قد يكون خاصًّا للصحابة، وممكن أن يُراد به كُلّ مسلم، وقد يكون الخِطاب لِعامَّة المُسلمين، وقد يكون خِطابًا لِعامَّة النَّاس.

٤ ـ الافتراض المُسبَق في جُمل الإنشاء الطلبيَّة يعتمد على السِّياق اللُّغوي(التَّركيبي والدلالي) لِهذه الجُمل، ويقوم على مبدأ التَّعاون بين كُلٍّ من المُتكلِّم والمُخاطَب، ومعلومات سابقة بين الطرفين، وكُلُّ الافتراضات في الدراسة التَّطبيقيَّة السَّابقة نوعها واقعي؛ لأنَّ جُمل الإنشاء الطلبيَّة التي قالها المُتكلِّم للمُخاطَب واقعيَّةً.

٥ ـ ظاهرة الاستلزام الحواري التي تحدَّثَ عنها (بول جرايس) في الدرس التَّداوليّ الغربيّ الحديث،

وسَبقَه إليها العلماء (النُّحاة والبلاغيُّون) العرب القُدامى تظهرُ بوضوحٍ في جُمل الإنشاء الطلبيَّة للأحاديث الأربعين، وتتمثَّلُ في خروج هذه الجُمل – كما مثَّلنا لها – عن معانيها الحرفيَّة(الأصليَّة) إلى معانٍ ثانويَّة مُستلزمة المقام، فالمُخاطَب أو المُتلقيّ يعتمدُ الاستلزام لِبلوغ المعاني المُضمَرة الخفيَّة، فيُعدُّ الاستلزام حلقة الوصل بين المعنى الحرفي المباشر، والمعنى المُضمَر أو المُتضمِّن الذي تستلزمه جملة الإنشاء الطلبيَّة في طبقات مقاميَّة مُعيَّنة، ويُعدُّ الاستلزام من أهم مجالات الدرس التَّداوليّ؛ لأنَّه المعنى المُستفاد من السِّياق؛ ولأنَّ من أهمِّ أهداف الدراسة التَّداوليَّة عدم الاعتماد على المعنى الحرفي المباشر لِمعرفة قصديَّة المُتكلِّم، أي الربط بين التَّركيب اللُّغوي ومُراعاة غَرَض المُتكلِّم من خلال ما يقول، وهذا الغَرض يعتمد على الظروف الخارجيَّة(السِّياق الخارجي غير اللُّغوي) التي تُساعد في الوصول إلى قصديَّة المُتكلِّم من فعل الإخبار، والاستفهام الإنشائي مثلاً في الاستلزام الحواري لِجُمل الإنشاء الطلبيَّة، يخرج من غَرَضه الأصلي المُتمثِّل في الاستخبار إلى أغراض أُخرى، والاستفهام يتغيَّر بتغيُّر السِّياقات التي يرد فيها ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بقصديَّة المُتكلِّم.

٦ ـ تجاوزتْ الأفعال الكلاميَّة لِجُمل الإنشاء الطلبيَّة في الأحاديث الأربعين صيغتها المُباشرة أو القُوَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة (الاستفهام، والأمر، والنَّهي، والنِّداء) إلى معنى غير مُباشر أو القُوَّة المُستلزمة مقاميًّا المُتضمِّن في القول (التقرير، الإنكار، النُّصح والإرشاد، الإغراء، التَّهكُّم...)، وقد ارتبطَ التَّركيب اللُّغوي بقصديَّة المُتكلِّم لِجُمل الإنشاء الطلبيَّة ممَّا أدَّى إلى كثرة تلك الأفعال الكلاميَّة التي تتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أُخرى، **أي يمكننا المقابلة بين المعنى الأصلي في هذه الجُمل لدى علماء (النَّحو والبلاغة) العرب القُدامى، والأفعال الكلاميَّة المباشرة، ونجعل الأغراض (المعاني) الفرعيَّة (المجازيَّة) لهما مقابلاً للأفعال غير المباشرة.**

٧ ـ تُحاول آليَّات التَّداوليَّة السَّابقة الربط بين التَّركيب اللُّغوي للجملة، والظُروف المقاميَّة التي تُنجز فيها، فهي تُعالج التَّركيب اللُّغوي ضمن ظروف خارجيَّة تُحيط بالحدث الكلاميّ، دونَ حصر هذه المُعالجة في إطار لُغويّ خالص، فالمعنى لا يعتمد على العلاقات التَّركيبيَّة والدلاليَّة فَحَسْب، بلْ يعتمد كذلك على السِّياق الخارجي التَّداوليّ غير اللُّغوي.

٨ ـ أثبت البحث إمكانيَّة تطبيق آليَّات النظريَّة التَّداوليَّة على نصوص الأحاديث الأربعين النَّوويَّة،

من خلال الارتكاز على آليَّاتها في تحديد معنى قصديَّة المُتكلِّم.

وآخر دعونا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله تعالى وسلَّمَ وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربيَّة:

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠١١م .

٢- الأربعون النووية وتمتتها، للحافظ بن رجب، عمر عبد الجبَّار، (د ط)، (د ت) .

٣- الأساليب الإنشائية في النَّحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

٤- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م .

٥- أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب الحديث، للسيوطي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م .

٦- أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، محمد رأفت سعيد، كتاب الأُمَّة سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشوؤن الإسلامية، قطر، ط١، ١٤١٤هـ .

٧- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م .

٨- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٢هـ٢٠١١م .

٩- الأصول في النحو، لأبي بكر السَّرَّاج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

١٠- إعراب الأربعين حديثا النووية، حسني عبد الجليل، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م .

١١- أمالي ابن الشَّجريِّ (هبة الله بن علي الحَسَنيّ العَلويّ)، تحقيق ودراسة: محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٢م .
١٢-الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، للخطيب القَزويني، وضع حَوَاشيه: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م .
١٣-البرهان في علوم القرآن، للزَّركَشيِّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت) .
١٤-البلاغة العربية (أُسسها وعلومها وفنونها)، عبد الرحمن حَبَنَّكه الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
١٥-البلاغة والتطبيق، تأليف: أحمد مطلوب، وحسن البصير، طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط٢، ١٩٩٩م .
١٦-البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الدمشقي (ت ١١٢٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م .
١٧-التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .
١٨- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .
١٩-التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠١٤م .
٢٠-التداولية أصولها واتجاهاتها،جواد ختام،دار كنوز المعرفة،عمَّان، الأردن، ط١، ٢٠١٦م .
٢١-التعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفيِّ، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٩٩٨م .
٢٢-جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلم، لابن رجب، تعليق وتحقيق: ماهر الفحل، دار ابن كثير: دمشق وبيروت، ط١، ٢٠٠٨م .

٢٣- الجَنَي الدَّاني في حروف المعاني، للمُرادي، تحقيق: فخر الدين قباوَة، و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٢٤-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (د ط)، (د ت) .
٢٥-الخواطر الحسان في المعاني والبيان، جبر ضومط، طبعت بمطبعة التأليف(الهلال) بالفجالة بمصر سنة: ١٨٩٦م .
٢٦- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، تأليف: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م .
٢٧- دَلائِلُ الإعجاز، عبد القاهر الجُرجانيّ، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م .
٢٨-دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م .
٢٩-السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المنَّاع، الناشر: مؤسسة السياب(لندن)- منشورات الاختلاف(الجزائر)، ط١، ٢٠١٣م .
٣٠-سير أعلام النبلاء، للذهبي، رتبه وزاده فوائد واعتنى به: حسان عبد المنَّان، طبعة: بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م .
٣١-شرح الأربعين حديثًا النوويَّة، لابن دقيق العيد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (د ط)، (د ت) .
٣٢-شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويَّة، للنوويّ، نشر: مكتبة دار الفتح، دمشق، ط٤، ١٩٨٤م .
٣٣-شرح المفصَّل لابن يعيش، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ومكتبة العلوم والآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م .
٣٤-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، تحقيق: مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م .
٣٥-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م .

٣٦-علم المعاني، بسيوني فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥م .
٣٧-فتح الباري بشرح صحيح البُخاري، لابن حجر العسقلاني، أشرف على تحقيق الكتاب وراجعه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠١٣م .
٣٨-في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، على محمود حجي الصَّرَّاف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ٢٠١٠م .
٣٩-في البلاغة العربية علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م .
٤٠-الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م .
٤١-كتاب المُقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م .
٤٢-كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التَّهَانَويّ، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .
٤٣- الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٨م .
٤٤-لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م .
٤٥- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م .
٤٦-مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السَّكَّاكي، حقَّقه وقدَّم له وفهرسَه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م .
٤٧-المُشيرات المقاميَّة في اللغة العربية، نرجس باديس،مركز النشر الجامعي،تونس، ٢٠٠٩م .
٤٨-المقتضب، لأبي العباس المُبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
٤٩-مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، عائشة عبدالرحمن، ذخائر العرب(٦٤)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م .
٥٠-معاني النَّحو، فاضل صالح السَّامِرائي، الناشر: شركة العاتك، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م .

٥١-مغني اللَّبيب عن كُتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، أشرف عليه وراجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م .
٥٢-من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨م .
٥٣-المنهل العَذْب الرَّوي في ترجمة قطب الأولياء النَّووي، للسخاوي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .
٥٤-النحو الوافي، تأليف: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٤٢٩،١٦هـ ٢٠٠٨م .
٥٥-نسيج النَّصّ، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .
٥٦-نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، ٢٠٠٥م .
٥٧- همع الهوامع في شرح جَمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مَكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ودار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠م .
٥٨- الوافي في شرح الأربعين النووية، تأليف: مصطفى البُغَا، ومحيي الدين مِسْتو، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط١٧، ٢٠٠٧م .
٥٩- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد محمد أبوشُهبة، دار الفكر العربي، القاهرة .

ثانيًا: الكتب الأجنبيَّة المُترجمَة :

١ – التَّداوليَّة، تأليف: جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، المغرب، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ٢٠١٠م .
٢ – التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، و محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، نشر وتوزيع: دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م .
٣ – العقل واللغة والمجتمع(الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشرون: منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م .

٤ – مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، (د ط)، ١٩٨٣م .
٥ – المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ١٩٨٦م .